الغزو الثقافي للعالم الإسلامي ١

قصة الغارة الحضارية على العالم الإسلامي

العلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي

إعداد وتحقيق: د. الشيخ حسين اليوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اسم الكتاب: قصة الغارة الحضارية على العالم الإسلامي
تأليف: آية الله العلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي
إعداد وتحقيق وتصحيح: الدكتور الشيخ حسين اليوسف
الطبعة: الأولى، ٢٠٢٥م
نشر: مؤسسة حفظ ونشر تراث العلامة الآصفي
البريد الإلكتروني: m.m.alasefi@gmail.com

الفهرس

كلمة المؤسسة ٩

الوراثة الحضارية

تعريف الوراثة الحضارية ١٣
الجسور الثلاثة للوراثة الحضارية ١٤
١. البيت ١٤
٢. المدرسة ١٦
٣. المسجد ١٧
مؤسسة الحوزة العلمية ١٩
نسف الجسور ٢٠
بين الحداثة والقِدم أم بين الانقطاع والاتصال؟ ٢٠

التخريب الحضاري

دور الاستكبار العالمي في التخريب الحضاري ٢٣
التعويم الحضاري ٢٤
معالم حركة التغريب والتخريب الحضاري ٢٥

قصة الغارة الحضارية على العالم الإسلامي

طبقتا التغريب والتخريب الحضاري ٢٦
الطبقة الأولى: الحكّام الذين دعموا حركة التغريب ٢٧
مصطفى كمال أتاتورك ٢٧
رضا بهلوي ٢٧
أمان الله خان ٢٧
الطبقة الثانية: رواد التغريب من المثقفين ٢٨
طه حسين والدعوة إلى التغريب ٢٩
ضياء كوك آلب ٣١
السيد أحمد خان ٣٣
السيد حسن تقي زاده ٣٤

الخلط بين العلم والثقافة

شبهة عدم جواز التبعيض ٣٧
نظرية أرنولد توينبي ونقدها ٤٠
نظرية أرنولد توينبي ٤٠
نقد النظرية ٤٢
ظروف الاحتكاك العلمي ٤٣
الظروف الآمنة للاحتكاك العلمي ٤٣
الظروف غير الآمنة للاحتكاك العلمي ٤٤
تجربتان تاريخيتان ٤٤
١. تجربة الفتوحات الأولى ٤٤
٢. تجربة التغريب المعاصرة ٤٥

عمل دعاة الانسلاخ الحضاري

١. تبديل الحرف العربي بالحروف اللاتينية في بعض البلاد الإسلامية ٤٧
أ. تبديل الحرف العربي بالحروف اللاتينية في تركيا ٤٧
أتاتورك والدعوة إلى التغريب ٥١

الفهرس

دور أتاتورك في إلغاء الدولة العثمانية ٥٣
بين أتاتورك ومعاصره هتلر ٥٦
ب. محاولة تغيير الحرف العربي في مصر وإيران ٥٧
٢. تهديم الفصحى ٥٨
أدوات حجب الأمة عن تراثها اللغوي ٦٠
أ. الدراسات الأكاديمية للّهجات العامية ٦٠
ب. وضع اليد على المدارس ٦٢
نتائج وإفرازات المؤامرة الكبرى ٦٤
٣. بعث الحضارات الجاهلية من تحت الأنقاض ٦٥
أدوات إحياء الحضارات الجاهلية ٦٦
أ. الفولكلور ٦٦
ب. الآثار ٦٧

الملحقات

الملحق (١): تطويع العرب في اللعبة الاستعمارية ٧١
الملحق (٢): اتفاقية سايكس بيكو (الخلفيات والنتائج) ٧٣
الملحق (٣): وعد بلفور المشؤوم ودور الحكام العرب في تعزيزه ٧٦
الملحق (٤): المؤلّف الحقيقي لكتاب (حاضر العالم الإسلامي) ٧٩
الملحق (٥): مَن أحرق مكتبة الإسكندرية؟ ٨١
الملحق (٦): مؤامرة استبدال الفصحى باللّهجات المحكية ٨٣
الملحق (٧): حول رواية (زَيْنَب) ٨٧

فهرس المصادر

كلمة المؤسسة

بين يدي القارئ العزيز سلسلة من حلقات أطلقنا عليها اسم (سلسلة الغزو الثقافي للعالم الإسلامي) جمعنا فيها ما وجدناه في تراث العلّامة الشيخ الآصفي رحمه الله حول هذا الموضوع.

إنّ من أهم الأخطار التي يواجهها العالم الإسلامي اليوم هو الغزو الثقافي أو ما يسمى اليوم بـ (الحرب الناعمة) إن لم نقل هو أخطرها على الإطلاق، فالغزو والاحتلال العسكري واضح وبيّن للجميع؛ لذلك تتم مواجهته بالأدوات والوسائل اللازمة والمباشرة حين توفّرها وحين توفّر ثقافة الجهاد ومواجهة الاحتلال، وبكل الأحوال فإن هذا النوع من الغزو جليّ وواضح بحيث يمكن الإشارة المادية والحسية إليه، وبالتالي إدانته ورفضه من قبل بعض الجهات المتضررة منه على أقل تقدير، بينما عندما يدخل الغزو والتخريب الثقافي إلى بلادنا، فإنه يدخل بطريقة لا مواجهة ولا خشونة فيها وسَلِسَة وناعمة وبعناوين برّاقة وبأدوات ووسائل متطورة، فإذا لم يكن الإنسان المسلم واعيًا ومتنبّهًا لطرق وأخطار هذا الغزو، وكانت ثقافته الإسلامية ضعيفة وضحلة، فسوف يقع في شِراك هذه المصيدة، كما حصل ووقع فيها الكثير من شبابنا إلى اليوم.

لقد اخترقت الثقافة الغربية والمعادية للإسلام بل للإنسانية جمعاء البيت المسلم ودخلت إلى عمقه؛ حتى إلى مضجعه ومخدعه الذي يعتبر أحد أهم خصوصيات الإنسان التي لا يجوز لأحد أن يطّلع عليها أو يخترقها في كل الأعراف والشرائع، فكشفته وعرّته من مبادئه وقيَمه وإنسانيته، واتجه نحو الحيوانية التي أرادها له الغرب. وعندما يفقد المسلم مبادئه وقيمه وإنسانيته، يصبح لقمة سائغة يسهل افتراسها والسيطرة عليها؛ لذلك نجد اليوم أنّ الغرب وعلى رأسه الشيطان الأكبر أمريكا، لم يعد بحاجة إلى الغزو العسكري للسيطرة على ثروات المسلمين طالما سيطر على عقولهم ونُخبهم.

والشيخ الآصفي رحمه الله لم يكن بعيدًا وغافلًا عن مثل هذه المخاطر التي عاصر بداياتها، فأخذ على عاتقه، ومن باب تحمّل الوظيفة الشرعية المتمثلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التصدي لبيان مخاطر الغزو الثقافي وأدواته وطرق مواجهته.

ونحن بدورنا وإكمالًا لهذه المهمة التي قام بها الشيخ رحمه الله، وسعيًا منّا في نشر تراث هذا العَلَم الكبير، قمنا بما يلي:

١. تجميع كل ما توفر لدينا من آثار الشيخ رحمه الله المتعلقة بهذا الموضوع؛ سواء المقروءة منها أو المسموعة أو المرئية، وتأليف المباحث وضمها إلى بعضها وترتيبها وحذف المكرر منها بحيث تشكّل لدينا سلسلة حلقات لتخرج بهذا الثوب وهذه الحلّة التي بين أيديكم.

٢. إعادة تبويب وترتيب وصياغة بعض العناوين والمباحث.

٣. تحقيق وتخريج المصادر وتصحيحها وتدقيقها.

٤. تصحيح المتن وتدقيقه نحويًا ولغويًا وطباعيًا.

٥. التعليق على بعض العناوين والمباحث والاصطلاحات وشرحها وتوضيحها حيث يجب ذلـك مع التعريف بالمصادر المختصة بالموضوع.

٦. هناك بعض العناوين والمباحث تم توضيحها تحت عنوان مستقل في قسم الملحقات لاحتياجها إلى توسّع لا يتّسع له هامش المتن الأصلي؛ لذا فإنّ كل العناوين والأبحاث التي تم طرحها وبحثها في قسم الملحقات من كل حلقة هي من المحقق وليست للمؤلف.

٧. إعداد فهرس خاص بالمراجع والمصادر لكل حلقة من السلسلة مع بيان هوية المصدر بشكل كامل ومفصّل ليسهل على القارئ الرجوع إلى المصادر ذات الصلة والتوسّع في المطالعة والبحث.

فكانت هذه السلسلة التي نرجو أن تنال إعجابكم، وتحقق الأهداف المرجوّة منها، طالبين بذلك رضا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام.

ونضع هنا بين أيديكم الحلقة الأولى من هذه السلسلة.

مؤسسة حفظ ونشر تراث الشيخ الآصفي رحمه الله

الوراثة الحضارية

تعريف الوراثة الحضارية

الوراثة الحضارية هي انتقال القيم والأفكار والرؤى والأعراف والأخلاق من جيل إلى جيل، ولهذه الوراثة قوانين وأصول كما للوراثة في النبات والحيوان والإنسان.

وبموجب هذه القوانين تنتقل الحضارة من جيل إلى جيل، فيبدأ الجيل الجديد حياته من حيث انتهى الجيل السابق وليس من الصفر. وعبر هذه العوامل انتقل إلينا هذا التيار الحضاري الكبير من عصر آدم عليه السلام وعصور إبراهيم ونوح وموسى وعيسى ورسول الله صلى الله عليه وآله.

ونحن قطعة من هذا الماضي العريق، وفرع من تلك الجذور الممتدة في عمق التاريخ، تلقينا هذه القيم والمعارف عبر قنوات وجسور الوراثة الحضارية من جيل إلى جيل، ومن المؤكد أنّ سلامة هذه الجسور والقنوات تُسرّع عملية انتقال الحضارة من جيل إلى جيل، كما أنّ تعطيلها وخرابها يعرقل الصلة بين الأجيال، ولو توقفت هذه الجسور بصورة نهائية عن أداء دورها الحضاري في

المجتمع لَانقطع الجيل اللاحق عن الجيل السابق، انقطاعًا كاملًا.

الجسور الثلاثة للوراثة الحضارية

إنّ أهم هذه القنوات والجسور هي:

- البيت.
- المدرسة.
- المسجد.

وعبر هذه الجسور الثلاثة تحركت الحضارة الإلهية، ووصلت الحاضر بالماضي والخَلَف بالسلف، وبسبب الدور الكبير الذي يقوم به البيت والمدرسة والمسجد، في عملية الاتصال الحضاري، يعطي الإسلام اهتمامًا كبيرًا لهذه المراكز الثلاثة وبنائها وإعمارها. وفيما يلي توضيح موجز لهذه القنوات الثلاث.

١. البيت

ونقصد بالبيت: الأسرة. ودور الأسرة، في نقل المواريث الحضارية إلى الجيل الصاعد، كبير، والانطباعات الأولى التي تنطبع عليها شخصية الطفل، تتكون في داخل الأسرة، وتبقى هذه الانطباعات ذات تأثير فعّال في شخصية الإنسان في مستقبل حياته.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام لولده الإمام الحسن المجتبى عليه السلام:

«وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ؛ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ، فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَيَشْتَغِلَ لُبُّك»[1].

---

١. نهج البلاغة، الكتاب: ٣١، من وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليهما السلام كتبها إليه بحاضرين منصرفا من صفين، ص٣٣٧.

ولسلامة بناء الأسرة أثر كبير في سلامة تربية الأبناء، كما أن لفسادها دور كبير في إفساد الجيل الناشئ وتخريبه.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلاّ كان خرابًا»[1].

وبعكس ذلك الأسرة الصالحة؛ فهي قادرة على أداء دور فعّال في بناء الجيل ونقل القيم والمواريث الحضارية إلى الجيل الذي ينشأ في أحضانها.

ولنستمع إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يشرح لولده الحسن المجتبى عليه السلام كيف نقل إليه خلاصة خبراته ووعيه للحضارة والتاريخ:

«أَيْ بُنَيَّ؛ إِنّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ؛ بَلْ كَأَنَّنِي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ، وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَه»[2].

ويتحدث أمير المؤمنين عليه السلام عن الجو العائلي الذي احتضنه بالتربية والرعاية وهو صغير، وما تركَت هذه التربية والرعاية العائلية في بناء شخصيته من أثر:

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ. وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ؛ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي

---

١. الطبرسي، مجمع البيان في تسير القرآن، ج٢، ص٦٥٩.

٢. نهج البلاغة، الكتاب: ٣١، من وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليهما السلام كتبها إليه بحاضرين منصرفا من صفين، ص٣٣٧.

كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ... وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاَقِهِ عَلَمًا، وَيَأْمُرُنِي بِالاِقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ، فَأَرَاهُ وَلاَ يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلاَمِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّة»[1].

٢. المدرسة

وأقصد بالمدرسة المراكز والوسائل التثقيفية في مختلف مراحلها، والجهاز البشري الذي يتولى تثقيف الناشئة وتعليمها... وهذا حقل واسع يشمل المدرسة والكتب والمناهج والمدرّسين والفعاليات الثقافية والتربوية والخط والحرف واللغة والثقافة والإعلام والصحافة وغير ذلك...

والمدرسة، في هذا الإطار الواسع، تعد من أهم الجسور التي تقوم بعملية نقل المواريث الحضارية من جيل إلى جيل، وربط الأجيال بعضها ببعضها الآخر، ووصل الجيل الصاعد بالجيل الهابط.

وإذا كان الإنسان يتلقى الانطباعات الأولى في حياته من البيت، فإن المرحلة الثانية من هذه الانطباعات تتكون في عقله ونفسه في المدرسة.

وقد ورد في النصوص الإسلامية تأكيد كثير على قيمة المعلم واحترامه.

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ مُعَلِّمَ الْخَيْرِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ دَوَابُّ الْأَرْضِ، وَحِيتَانُ الْبَحْرِ، وَكُلُّ ذِي رُوحٍ فِي الْهَوَاءِ، وَجَمِيعُ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْض»[2].

---

١. المصدر نفسه، الخطبة: ٢٣٤، الخطبة القاصعة، ص٣٠٠.

٢. محمد الصفار، بصائر الدرجات، ج١، ص٣.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام:

«مَنْ عَلَّمَ خَيْرًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهِ، قُلْتُ: فَإِنْ عَلَّمَهُ غَيْرَهُ يَجْرِي ذَلِكَ لَهُ؟ قَالَ: إِنْ عَلَّمَهُ النَّاسَ كُلَّهُمْ جَرَى لَهُ، قُلْتُ: فَإِنْ مَاتَ؟ قَالَ: وَإِنْ مَاتَ»[1].

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله:

«يَجِيءُ الرَّجُلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ كَالسَّحَابِ الرُّكَامِ أَوْ كَالْجِبَالِ الرَّوَاسِي، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذَا وَلَمْ أَعْمَلْهَا؟! فَيَقُولُ: هَذَا عِلْمُكَ الَّذِي عَلَّمْتَهُ النَّاسَ؛ يُعْمَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِكَ»[2].

وَقِيلَ إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيَّ عَلَّمَ وَلَدَ الْحُسَيْنِ (الْحَمْدُ)، فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلَى أَبِيهِ، أَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ وَأَلْفَ حُلَّةٍ وَحَشَا فَاهُ دُرًّا، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، قَالَ:

«وَأَيْنَ يَقَعُ هَذَا مِنْ عَطَائِهِ؛ يَعْنِي تَعْلِيمِه»[3].

٣. المسجد

والجسر الثالث من الجسور الثلاثة: المسجد؛ وهو في الإسلام مركز للعبادة والتوجيه الفكري والأخلاقي والسياسي، وللتعاون على أعمال الخير والبر، وله دور مركزي ورئيسي في الفعاليات والأعمال التي تقع في هذه الدائرة.

والنصّ التالي يكشف عن قيمة المسجد ودوره في المجتمع الإسلامي:

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«من اختلف إلى المسجد أصاب إحدى الثمان:

١. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١٦ من أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، ج١٦، ص١٧٢، ح١.
٢. محمد الصفار، مصدر سابق، ج١، ص٥.
٣. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج٤، ص٦٦.

١. أخًا مستفادًا في الله.

٢. أو علمًا مستطرفًا.

٣. أو آية محكمة.

٤. أو رحمة منتظرة.

٥. أو كلمة ترده عن ردى.

٦. أو يسمع إلى كلمة تدل على الهدى.

٧. أو يترك دنيا خسيسة.

٨. أو حياء»[1].

وقد كانت المساجد في التاريخ الإسلامي، مدارس للفكر والثقافة، ومنابر للتهذيب والتربية، ومواقع للحركة والثورة والعمل الاجتماعي والسياسي، ومن أنشط المؤسسات الاجتماعية والثقافية والسياسية في حياة المسلمين، وكانت تقوم بمهمة أساسية في نقل مواريث الحضارة الإسلامية من جيل إلى جيل.

كما كانت معقلًا من أمنع معاقل الفكر والقيم الإسلامية، وفي هذا المعقل

---

١. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٣ من أبواب أحكام المساجد، ج٥، ص١٩٧، ح١. مع اختلاف يسير في اللفظ: «مَنِ اخْتَلَفَ إِلَى الْمَسْجِدِ أَصَابَ إِحْدَى الثَّمَانِ: أَخًا مُسْتَفَادًا فِي اللَّهِ، أَوْ عِلْمًا مُسْتَطْرَفًا، أَوْ آيَةً مُحْكَمَةً، أَوْ يَسْمَعُ كَلِمَةً تَدُلُّهُ عَلَى هُدًى، أَوْ رَحْمَةً مُنْتَظَرَةً، أَوْ كَلِمَةً تَرُدُّهُ عَنْ رَدًى، أَوْ يَتْرُكُ ذَنْبًا خَشْيَةً، أَوْ حَيَاءً». وكذلك ورد في: تهذيب الأحكام للطوسي، الباب ٢٥ من أبواب الزيادات في الجزء الثاني من كتاب الصلاة، ج٣، ص٢٤٨، ح١؛ ومن لا يحضره الفقيه للصدوق، باب فضل المساجد، ج١، ص٢٣٧، ح٧١٣؛ والخصال للصدق، ج٢، ص٤٠٩؛ وعوالي اللئالي العزيزية للأحسائي، ج١، ص٤٠٧، ح٧٢. وغيرهم) مع اختلاف يسير بينها في ترتيب الخصال الثماني. ولم نعثر عليه بلفظ (أو يترك دنيا خسيسة) كما جاء في المتن. (من المحقق)

استطاع المسلمون أن يحفظوا تراثهم الفكري والحضاري من غارة العدوان الجاهلي.

مؤسسة الحوزة العلمية

ولكي يمارس المسجد دوره في خدمة الأمة، وفي نقل المواريث الحضارية بقوة وفعالية، لابدّ له من روافد بشرية وثقافية لتأمين حاجة المسجد إلى العلماء والخطباء والموجهّين الذين يقومون بدور التوعية والتحريك في المجتمع الإسلامي من خلال هذه المؤسسة (المسجد).

وهذه المهمة تتطلب وجود جامعات إسلامية (حوزات علمية) مهمتها تخريج المتخصصين في شؤون الثقافة الإسلامية.

ولابدّ من أن تنفر طائفة من المسلمين؛ ليتعلم أفرادها هذه الثقافة بصورة اختصاصية، وليقوموا بهذا الدور التوجيهي الحساس في المجتمع، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

وعليه؛ فإنّ (مؤسسة المسجد) تشمل المؤسسات الثقافية التي نصطلح عليها بالحوزات العلمية، والمؤسسات التابعة والمقوّمة للحوزات العلمية؛ كالمرجعية ومنصب الإفتاء ومنابر التوجيه والوعظ.

والمسجد، بمثل هذا الشمول والسعة، يشغل مساحة واسعة من حياة الناس، ويعد واحدًا من أهم الجسور التي قامت في تاريخ الإنسان بعملية نقل القيم والأفكار من جيل إلى جيل، ومن أهم المعاقل التي استطاعت أن تحفظ لنا تراثنا من الضياع والانحراف ولا سيّما في السنوات العجاف الطويلة التي

---

١. التوبة: ١٢٢.

تعرضت فيها جسورنا وقلاعنا الحضارية لضربات قوية من قبل العدو.

فقد حافظ المسجد خلال هذه السنوات العجاف على استقلاله، ولم يتمكن العدو من مصادرة هذه المؤسسة وتطويقها وحرفها عن رسالتها. وكان المسجد، في هذه المعركة، آخر قلعة من قلاعنا الحضارية، ولو كان يتأتّى لهذه الأنظمة والمؤسسات الخاضعة لسلطان الغرب، أن تضع يدها على المساجد ورافِدها من الحوزات العلمية الإسلامية، لما سلم لنا من عبثهم وإفسادهم شيء.

نسف الجسور

هذه هي إجمالًا الجسور الثلاثة التي تنتقل عليها حضارتنا من جيل إلى جيل، والتي تربط حاضرنا بماضينا، وتربطنا بجذورنا الحضارية العميقة، ولولا هذه الجسور لَانقطع حاضرنا عن ماضينا، انقطاعًا تامًا، وتحولت الأمة من أمة ممتدة في التاريخ، ذات حضارة وأصالة وعمق، مستقرة في الأرض، إلى نبتة مجتثة من فوق الأرض مالها من قرار، ومن شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، إلى نباتات طحلبية تنبت هنا وهناك، ثم تموت كما تكونت. وبقدر ما يحرص الإسلام على سلامة هذه الجسور الثلاثة وفاعليتها في حياة الأمة، فان أجهزة الاستكبار العالمي تخطط لتقطيع هذه الجسور في حياة أمتنا وتعطيل أدوارها. وبإمكاننا أن نقول إن الصراع السياسي في المرحلة الأخيرة من حياتنا، بيننا وبين الكفر العالمي، كان يدور حول محور قطع هذه الجسور ومدّها.

بين الحداثة والقِدم أم بين الانقطاع والاتصال؟

لقد حاول الاستكبار وعملاؤه، في العالم الإسلامي، من الحكّام والمفكرين، أن يصوروا هذا الصراع على أنه صراع بين (القِدم) و(الحداثة)، لكن الحقيقة شيء آخر، فلم يكن الصراع على القديم والجديد، وإنما كان الصراع على

(الانقطاع) و(الاتصال). لقد كان الاستكبار العالمي يعمل لقطع هذه الأمة عن ماضيها وجذورها التاريخية، ولنسف الجسور التي تربط حاضر الأُمّة بماضيها. وكان المخلصون الواعون، من أبناء الأُمّـة، يدركون عمق هذه المؤامرة، ويحرصون على أن يبقى حاضرنا مرتبطًا بماضينا وتراثنا وجذورنا في التاريخ. وكان هذا الصراع قائمًا في كل مكان: في المدرسة، والجامعة، والشارع، والفن، والأدب، والمصطلحات، والأعراف، واللغة، والخط، والشعر، والمعاشرة، والأسرة، وطريقة التفكير، ولغة التخاطب، وفي أشياء كثيرة أخرى في حياتنا.

التخريب الحضاري

دور الاستكبار العالمي في التخريب الحضاري

ونتساءل هنا: لماذا كان الاستكبار يعمل بهذا الاتجاه التخريبي في حضارتنا؟

وهذا سؤال وجيه؛ فإن مخططي أجهزة الغزو الاستكباري، لم يكن يهمهم من أمر حضارتنا شيء، ولم يكن يهمهم أن يطرحوا بديلًا لهذه الحضارة، ولم يكونوا رُسُل حضارة إلينا ليفكروا في تخريب حضارة وإقامة أخرى مكانها، وإنما كانوا طلاب مال ولذة، وجباة الذهب الأصفر والأسود، وكل من يعرف الغرب والشرق، يعرف هذه الحقيقة بلا مناقشة، ونتجاوز الآن أولئك السُّذَّج الذين يتصورون أنّ للغرب الرأسمالي أو الشرق الاشتراكي دورًا إنسانيًا في حياتنا.

فما هي مصلحة الغرب والشرق في التخريب الحضاري في حياتنا وفي هدم الجسور واستئصال الجذور؟ إن القضية، في رأينا، لها أيضًا علاقة بجباية الذهب الأصفر والأسود، ولابد لذلك من شرح وإيضاح:

إن الجذور الحضارية تمنح الأمة مناعة ضد الغزو، أيَّ غزو؛ سواء أكان غزوًا عسكريًا أم فكريًا أم سياسيًا، أم غزوًا للابتزاز المالي أو للاستئصال الحضاري.

وهذه خاصية العمق الحضاري في الأمة، فما دامت الأمة مرتبطة بماضيها وحضارتها ومستشعرة بشخصيتها التاريخية والحضارية، فهي تقاوم الغزو والاحتلال والاستغلال، وتقاوم النفوذ السياسي والفكري الأجنبي مهما كان.

ولقد جاء الغرب إلى العالم الإسلامي لفرض سلطانه ونفوذه على المسلمين، وليقوم بغارة واسعة على العالم الإسلامي، وهو يعلم أنّ في هذه الأمة مناعة ضد كل أجنبي دخيل على الأمة، وضد كل نفوذ وسلطان دخيل عليها، ويعلم أنّ مصدر هذه المناعة، هو دين هذه الأمة وحضارتها، ولا يمكن أن يضعوا أيديهم على كنوز هذه الأمة وثرواتها الطبيعية قبل أن يقطعوا علينا الطريق إلى حضارتنا ورسالتنا وتراثنا.

لقد عرف المخططون للاستكبار هذه الحقائق جميعًا؛ حقيقة بعد أخرى، وتوجّهوا بكل جدّ واهتمام لعلاج هذه المشكلة ومصادرة هذه المناعة والمقاومة.

التعويم الحضاري

وإذا حدث هذا التعويم الحضاري، وتحولت الأمة من حالة الانتماء الحضاري إلى حالة اللاّ انتماء، فلا تبقى في الأمة مناعة أو مقاومة، ولا يُخشى، بعدُ، على مصالح الاستكبار ومراكز نفوذه في العالم الإسلامي على أمد طويل من الزمان، ومن ثَم يسهل النفوذ في هذه الأمة، وفرض كل ألوان السيطرة والسيادة عليها، ووضع اليد على ثرواتها وأراضيها وبرّها وبحرها.

ولكي يتم تفريغ هذه الأمة من كل محتواها الحضاري والرسالي، وبترها عن ماضيها وتراثها وحضارتها، بترًا كاملًا، لابد من قطع هذه الجسور التي تربط الحاضر بالماضي، والأمة بتراثها وحضارتها.

وانطلاقًا من هذا التصور توجه الاستكبار العالمي باتجاه قطع هذه الجسور

ونسفها وقطع الحاضر عن الماضي.

وهكذا كانت فصول المأساة في حياتنا السياسية والحضارية المعاصرة.

معالم حركة التغريب والتخريب الحضاري

وأرى من المفيد أن أرسم هنا معالم حركة التغريب، أو الاستئصال الحضاري بشكل أوضح، ليكون هذا الجيل - جيل الثورة - على بيّنة من المخططات الرهيبة التي كان يجري تنفيذها من قبل الغرب، بشكل خاص، في العالم الإسلامي في هذه الفترة من الزمان.

لقد كان همّ الغرب الأكبر إنهاء وجود الدولة العثمانية في العالم الإسلامي والقضاء عليها قضاء كاملًا، فقد كانت الدولة العثمانية، رغم كل نقاط الضعف الظاهرة عليها، محورًا سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا قويًا في المنطقة، يحول دون تحقيق مطامع الغرب في العالم الإسلامي[1].

١. لم تكن الدولة العثمانية هي النظام النموذجي للدولة الإسلامية، فهي حالها حال باقي الأنظمة السياسية للخلافة التي كانت سائدة زمن الأمويين والعباسيين واستمرارًا لها، فلم يكن الشيعة وأتباع أهل البيت عليهم السلام والأقليات الأخرى أفضل حالًا مما كانوا عليه في حقبتي الخلافة الأموية والعباسية إن لم نقل أسوأ. لكن بصرف النظر عن هذا الظلم والاستبداد للشيعة والشعوب التي كانت ترزح تحت سلطتها، إلا أنّ نفس وجود مثل هذه الدولة، وبصفتها دولة إسلامية، ولها قوة عسكرية، كان يحمي هذه المناطق التي تقع تحت سلطتها من الغزو والاستغلال والأطماع الخارجية، ويحافظ على الجسور الحضارية والثقافية للإسلام ولو بالحد الأدنى؛ لذلك يُحكى أن بعض فقهاء الإمامية أفتى بوجوب الوقوف إلى جانب الدولة العثمانية ضد التدخل الأوروبي المتمثل بالإنجليز الذين كانوا يسعون إلى إسقاطها للوصول إلى مطامعهم في المنطقة، فوجودها كان يشكّل حجر عثرة في وجه هذه الأطماع الأجنبية، وبالتالي وجود مثل هذه الدولة مع كل سلبياتها أولى من عدمه، وهذا ما كان يقصده الشيخ رحمه الله. ومن يراجع الأحداث والنتائج التي ترتبت على سقوط الدولة العثمانية بعد ذلك - والتي يبحثها الشيخ رحمه الله في الفقرات التالية - سوف يدرك هذه الحقيقة.
(من المحقق)

وتم للغرب إسقاط الخلافة العثمانية بصورة نهائية، في سنة ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٢ م، بعد أن تم إنهاكها واستهلاكها وتحجيمها، حتى أصبح الخليفة لا يملك من أمور الخلافة والدولة شيئًا غير صلاة الجمعة وخطبتها وقصره وحاشيته[١]. واستراح الغرب عند ذلك، وتنفس الصعداء، وخلت الساحة السياسية في المنطقة الإسلامية من وجود قوة ذات نفوذ واسع في المنطقة الإسلامية[٢].

وعند ذلك أخذ الغرب يصعّد حركة التغريب والاستئصال الحضاري في المنطقة الإسلامية بصورة واسعة، وقد كانت هذه الحركة موجودة في العالم الإسلامي من قبل، ولكنها تصاعدت بشكل ملفت للنظر، وعلى كافة الأصعدة، بعد سقوط الدولة العثمانية.

طبقتا التغريب والتخريب الحضاري

ولقد دعم حركة التغريب والتخريب هذه وساعدها على الانتشار بل دعمها بكل ما أوتي من قوة أهم طبقتين في المجتمع الإسلامـي؛ وهما: الحكام والمثقفون.

وهنا نذكر نماذج لشخصيات مهمة من كلتا الطبقتين ليتبين مدى تأثيرهم! ومدى الأثر التخريبي لهم!

---

١. وقد وصلت الدولة العثمانية إلى هذه الحالة في زمن السلطان (عبد الحميد الثاني)، ولشدة ما كانت تعاني منه هذه الدولة من ضعف في زمنه، فقد أُطلق عليها اسم: (الرّجل المريض) (The Sick Man)، وأول من أطلق هذا الاسم قيصر روسيا سنة ١٨٥٣ م، ودعا بريطانيا أن تشترك معه في اقتسام أملاك الدولة العثمانية، ثم شاع الاسم بعد ذلك، فاستعملته الدول الأوروبية.
(من المحقق)
راجع: مجموعة المصطلحات العلمية والفنية، مجمع اللغة العربية، ج٢١، ص١٣٢.

٢. راجع الملحق رقم (١): تطويع العرب في اللعبة الاستعمارية

الطبقة الأولى: الحكّام الذين دعموا حركة التغريب

في هذه المرحلة التي عاصرت سقوط الدولة العثمانية، وتلك التي تلتها، نرى على المسرح السياسي حكامًا وأنظمة، في العالم الإسلامي، تتجه بشكل واضح باتجاه فصل العالم الإسلامي عن جذوره الحضارية، وربطه بالغرب والحضارة الغربية، تحت شعار (التجديد) و(الحداثة) و(التطور) و(التقدم)، ونذكر من هؤلاء الحكام:

مصطفى كمال أتاتورك

تولى الرئاسة في تركيا بعد إسقاط الدولة العثمانية، واستمر حكمه من سنة ١٩٢٣ إلى سنة ١٩٣٨ م.

رضا بهلوي

تولى الحكم، في إيران، من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٣١ م؛ أي أنه تولى الحكم بعد سقوط الدولة العثمانية بثلاث سنوات.

أمان الله خان

تولى الحكم في أفغانستان من سنة ١٩١٩ م إلى سنة ١٩٢٩ م. زار أوروبا، وتوجه باتجاه تغريب أفغانستان بعد سنة ١٩٢٧ م؛ أي بعد سقوط الدولة العثمانية بخمس سنوات، وقد واجهه الشعب الأفغاني المسلم مواجهة قوية ممّا أدى إلى سقوطه وفراره إلى أوروبا.

وقد اشتهر هؤلاء الحكّام بالنزوع الشديد إلى الغرب، وبالسعي الحثيث للقضاء على معالم الحضارة الإسلامية وأصولها، وإحلال الحضارة الغربية في بلادهم، والقضاء على الكيان السياسي للإسلام في العالم، وإحلال الكيانات

الصغيرة الإقليمية والقومية مكان الدولة الإسلامية.

ومن المفيد أن نذكر أنّ أحداثًا قد تمت في هذه الحقبة من تاريخنا السياسي المعاصر، أسهمت في تمزيق العالم الإسلامي، ومنها: (معاهدة سايكس بيكو - ١٩١٦ م)[١]، التي قسّمت العالم الإسلامي إلى كيانات، ومنها أيضًا (وعد بلفور - ١٩١٧ م)[٢] للصهاينة بإقامة كيان لهم في فلسطين.

ومن السذاجة أن نتصور أنّ هذه الأحداث تجمّعت في هذه المرحلة بالذات صدفة ومن دون تخطيط مسبق. ومن السذاجة أن نتصور أنّ هؤلاء الحكام كانوا يعملون لتطوير بلادهم من الناحية العلمية والاقتصادية والعسكرية، وكانوا يسعون لإدخال الصناعات والاختصاصات العلمية المتطورة إلى بلادهم.

فقد بدأ هؤلاء الحكّام بالقضاء على «الخط والحَرف العربيين» أوّلًا، وعلى «اللغة العربية الفصحى» ثانيًا، وعلى «الحجاب» ثالثًا، وعلى «القضاء الشرعي» رابعًا، وعلى «حدود الله» تعالى في الحلال والحرام خامسًا، وعلى «الأخلاق والأعراف» الإسلامية سادسًا، وعلى الكثير من الأمور الأخرى بحجة التطور والتجديد والحداثة.

وكان يسير في ركب هؤلاء الحكام، جمع من المخططين والمفكرين والعلماء والأدباء في مختلف أقطار العالم الإسلامي، يتجهون بشكل واضح باتجاه تغريب المسلمين، وربط العالم الإسلامي بعجلة الغرب، وعزل الأمة الإسلامية بصورة كاملة عن ماضيها وتاريخها، وحجبها كاملًا عن حضارتها وتراثها.

الطبقة الثانية: رواد التغريب من المثقفين

١. راجع الملحق رقم (٢): اتفاقية سايكس بيكو (الخلفيات والنتائج)

٢. راجع الملحق رقم (٣): وعد بلفور المشؤوم ودور الحكام العرب في تعزيزه

وبرز، في مجال الدعوة إلى التغريب والارتماء في أحضان الحضارة الغربية، مفكرون وكتاب وأدباء، دعموا هذه الدعوة بكتبهم وآثارهم وأدبهم. ونحن نشير هنا إلى بعض هؤلاء؛ حتى يعرف أبناء هذا الجيل ضخامة المؤامرة التي كان يحيكها الاستكبار والكفر ضد الحضارة والأمة الإسلامية قبل هذا الجيل.

طه حسين والدعوة إلى التغريب

عاش في العالم العربي عدد من الكتّاب في هذا العصر، كان من أبرزهم طه حسين، الكاتب المصري المعروف والذي مُنح لقب عميد الأدب العربي.

لقد ولع طه حسين بالحضارة الغربية، حتى عاد يدعو قومه في مصر، إلى الانسلاخ عن حضارتهم، وقبول حضارة الغرب والارتماء في أحضانها، خيرها وشرها، حلوها ومرها.

يقول طه حسين في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر):

(حياتنا المادية أوروبية خالصة في الطبقات الراقية، وهي في الطبقات الأخرى تختلف قربًا وبعدًا من الحياة الأوروبية باختلاف قدرة الأفراد والجماعات وحظوتهم من الثروة وسعة ذات اليد، ومعنى هذا أنّ المثل الأعلى في حياته المادية إنّما هو المثل الأعلى للأوروبي في حياته المادية).

(وحياتنا المعنوية، على اختلاف مظاهرها وألوانها، أوروبية خالصة. نظام الحكم عندنا أوروبي خالص، نقلناه عن الأوروبيين، في غير تحرج ولا تردد، وإذا عِبنا أنفسنا بشيء من هذه الناحية، فإنما نعيبها بالإبطاء في نقل ما عند الأوروبيين من نظام الحكم وأشكال الحياة السياسية).

(والتعليم عندنا قد أقمنا صروحه وبرامجه منذ القرن الماضي على النحو الأوروبي الخالص، ما في ذلك شك ولا نزاع، نحن نكوّن أبناءنا في مدارسنا الأولية

والثانوية والعالية تكوينًا أوروبيًا لا تشوبه شائبة).

وينتهي طه حسين إلى النتيجة التالية:

(كل هذا يدل على أننا، في هذا العصر الحديث، نريد أن نتصل بأوروبا اتصالًا يزداد قوة من يوم إلى يوم، حتى نصبح جزءًا منها لفظًا ومعنى وحقيقة وشكلًا)[1].

والأمر واضح عند طه حسين، لا لبس فيه، فهو لا يدعو إلى اقتناء ما تقدّم فيه الغرب من العلم والصناعة والتكنولوجيا والفن المعماري[2]... وإنما يدعو إلى اتّباع الغرب في كل شيء، وإلى أن ينسلخ كلٌّ منّا انسلاخًا كاملًا عن تاريخه وحضارته ورسالته، ويكون نسخة ثانية من الغرب (لفظًا ومعنى وحقيقة وشكلًا)، وحتى الرؤية والتصور والتقييم والحكم... ينبغي أن يكون عندنا أوروبيًا، كما يقول طه حسين، فلا يكفي أن نعيش حياة أوروبية، وإنما يجب علينا أن نفهم الأشياء، ونقوّمها، ونراها، كما يفهمها ويقوّمها الأوروبيون. وعلينا أن نتبع الأوروبيين في كل شيء من حياتهم وواقعهم حتى في ما لا يحمدونه هم من أساليب الحياة وألوان العلاقات الاجتماعية والممارسات والأفعال.

وان كنت لا تصدق ذلك من (عميد الأدب العربي)، فاقرأ معي في (مستقبل الثقافة في مصر) قوله: (علينا أن نسير سيرة الأوروبيين، ونسلك طريقهم لنكون

---

١. طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، ص٣٣ - ٣٥.

٢. من باب الإنصاف؛ فإن طه حسين يشير في بعض المواضع من كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) إلى مثل هذه الأمور، لكن مجرد إشارة بسيطة ليصبّ كل اهتمامه بعد ذلك على حياة الترف والبذخ التي يعيشها الأوروبيون والمظاهر الخارجية المتمثلة باللباس، وموائد الطعام وأواني وألوان الطعام، والتعليم ومناهجه وبرامجه، والاستمتاع بالحياة، و... وكذلك الاقتداء بهم في طريقة الحكم والإدارة...ويعتبر ذلك كله مقياسًا للرقيّ الفردي والاجتماعي؛ حيث يقول: (إن مقياس رقيّ الأفراد والجماعات في الحياة المادية مهما تختلف الطبقات عندنا، إنما هو حظّنا من الأخذ بأسباب الحياة المادية الأوروبية). المصدر نفسه، ص٣٤.
(من المحقق)

لهم أندادًا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب)[1].

(وأن نُشعر الأوروبي: أننا نرى الأشياء كما يراها، ونقوّم الأشياء كما يقوّمها، ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها)[2].

ولنتجاوز طه حسين[3] إلى مفكر آخر من تركيا الإسلامية.

ضياء كوك آلب

(ضياء كوك آلب) من تركيا (ومن قادة الدعوة إلى التغريب وواضعي الأسس النظرية للدولة التركية الحديثة)، كما يقول القسيس الأمريكي (هارولد سمث). وضياء هذا من الرواد الأوائل للانسلاخ عن الحضارة الإسلامية والارتماء في أحضان الغرب.

يقول السيد أبو الحسن الندوي: (إنّ ضياء كوك آلب دعا بكل قوة وصراحة

---

١. المصدر نفسه، ص٤٤.

٢. المصدر نفسه، ص٤٥.

٣. والخلاصة أن ما يذهب إليه (طه حسين) في هذا الكتاب هو عكس ما هو من المفترض أن يكون طبقا للمبادئ الإسلامية وما يذهب إليه الشيخ الآصفي؛ من لزوم الحفاظ على الجسور الثقافية والحضارية للإسلام من الغزو الثقافي الغربي، وضرورة بقاء اتصال الحاضر بالماضي؛ أي أنّ (طه حسين) يرى اتصال الحاضر بالماضي وأنّ قيام الدولة الإسلامية المتمثلة بـ (الدولة العثمانية)، كان السبب الرئيس في التخلف وعدم اللحاق بالركب الأوروبي في حضارته، ويلقي اللائمة بالكامل على هذه الدولة؛ حيث يقول: (فالفرق بيننا وبينهم - أي الأوروبيين - في حقيقة الأمر لا يتصل بطبائع الأشياء وجواهرها، وإنما يتصل بالزمان ليس غير، بدأوا حياتهم الحديثة في القرن الخامس عشر، وأخّرنا الترك العثمانيون، فبدأنا حياتنا في القرن التاسع عشر، ولو أن الله عصمنا من الفتح العثماني لاستمر اتصالنا بأوروبا، ولشاركناها في نهضتها). طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، ص٣٧. (من المحقق)

إلى سلخ تركيا من ماضيها القريب، وتكوينها تكوينًا قوميًا خالصًا، وإيثار الحضارة الغربية على أساس أنها امتداد للحضارة القديمة التي ساهم الأتراك - على زعمه - في تكوينها وحراستها. يقول في مقالة له:

إن الحضارة الغربية امتداد لحضارة حوض البحر الأبيض المتوسط القديمة، وكان مؤسسو هذه الحضارة، التي نسميها حضارة البحر الأبيض المتوسط، من الأتراك؛ مثل السومريين والفينيقيين والرعاة. لقد كان في التاريخ عصر طوراني قبل العصور القديمة...، وفي زمن متأخر جدًا رقّى الأتراك المسلمون هذه الحضارة ونقلوها إلى الأوروبيين...، لذلك نحن جزء من الحضارة الغربية ولنا سهم فيها)[1].

ويقول ضياء كوك آلب، في موجبات الانتماء إلى الحضارة الغربية، وفي أن هذا التحول إلى الحضارة الغربية لا يستلزم الانسلاخ عن الدين:

(حين تقطع أمة شأوًا بعيدًا في نشوئها، ترى من الواجب أن تغيّر حضارتها أيضًا. لما كان الأتراك قبائل رحالة في آسيا الوسطى، دانوا بحضارة الشرق الأقصى، ولما انتهوا إلى عصر السلطنة، دخلوا في مساحة الحضارة البيزنطية، والآن في طور انتقالهم إلى الحكومة الشعبية. هم مصممون على قبول حضارة الغرب)[2].

ويرى أنّ الدين لا علاقة له بالحضارة، ومن الممكن أن تدين شعوب مختلفة بديانات مختلفة في الوقت نفسه الذي ترتبط فيه جميعها بحضارة واحدة، يقول ضياء: (إن شعوبًا تدين بديانات مختلفة يمكن أن تدين بحضارة واحدة)[3]، ويضيف: (لا يصح أيّ ارتباط لحضارة بالدين، ليس هناك حضارة مسيحية ولا حضارة إسلامية، فكما أنه لا يصح أن تسمى الحضارة الغربية حضارة مسيحية،

١. أبو الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، ص٤٣.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه، ص٤٤.

هكذا بالضبط لا يصح أن تسمى الحضارة الشرقية حضارة إسلامية)[1]. ويضرب لذلك مثلًا بانتقال روسيا من الحضارة البيزنطية إلى الحضارة الغربية بقوله: (وقد عانى بطرس العظيم صعوبات شديدة في كفاحه لتحرير الشعب الروسي من سيطرة الحضارة البيزنطية، وتقديمه إلى الحضارة الغربية...، ولكنهم بعد الثورة بدأوا يتقدمون بسرعة زائدة، ويقطعون شوطًا بعيدًا في ميدان النهضة، وهذه الحقيقة تكفي لإثبات أنّ الحضارة الغربية هي الشارع الوحيد إلى التقدم)[2].

السيد أحمد خان

أحمد خان أو (سير أحمد خان) المتقي الدهلوي (١٢٣٢ هـ - ١٣١٥ هـ) من الشخصيات العلمية الإسلامية الهندية، أسّس الكلية الإسلامية الإنجليزية سنة ١٨٧٥ م، وذلك - كما يقول - لنشر الإسلام الحديث المتأثر بالحضارة الغربية، وهي التي تعرف الآن بـ «جامعة علي گره الإسلامية»[3].

كان يدعو إلى الانسلاخ عن الحضارات الإسلامية والارتماء في أحضان الحضارة الغربية، وكان من أوائل الدعاة للتغريب. يقول السيد أحمد خان:

(لابد أن يرغب المسلمون في قبول هذه الحضارة «الغربية» بكمالها، حتى لا تعود الأمم المتحضرة تزدريهم أعينها، ويعتبروا من الشعوب المتحضرة المثقفة)[4].

وفي كتابه (أحكام طعام أهل الكتاب)، يحثّ على التشبّه بالإنجليز في عاداتهم وأساليب معيشتهم[5].

---

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه، ص٤٤ - ٤٥.

٣. المصدر نفسه، الهامش رقم: ٤٧، ص٦٩ - ٧٠.

٤. المصدر نفسه، ص٧٠.

٥. المصدر نفسه، ص٧١.

٩. قاسم أمين

من دعاة السفور وتحلّل المرأة من الحجاب الإسلامي. كان يدعو للانتماء إلى الحضارة الغربية والأخذ بها، وكان معجبًا شديد الإعجاب بهذه الحضارة، ومولعًا بها، داعيًا إليها، مهما كان الثمن.

يقول في كتابه «المرأة الجديدة»: (هذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه، وليس له دواء إلّا أن نربي أولادنا على أن يتعرفوا على شؤون المدنية الغربية، ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها. وإذا أتى ذلك الحين - ونرجو أن لا يكون بعيدًا - انجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس، وعرفنا قيمة التمدن الغربي، وتيقّنا أنه من المستحيل أن يتم إصلاح ما في أحوالنا إذا لم يكن مؤسَّسًا على العلوم العصرية الحديثة، وأن أحوال الإنسان مهما اختلفت وسواء كانت مادية أو أدبية خاضعة لسلطة العلم؛ لهذا نرى أنّ الأمم المتمدنة، على اختلافها في الجنس واللغة والوطن والدين، متشابهة تشابهًا عظيمًا في شكل حكومتها وإداراتها ومحاكمها، ونظام عائلتها، وطرق تربيتها، ولغاتها، وكتابتها، ومبانيها، وطرقها؛ بل في كثير من العادات البسيطة كالملبس والتحية والأكل... هذا هو الذي جعلنا نضرب الأمثال بالأوروبيين ونشيد بتقليدهم، وحملنا على أن نستلفت الأنظار إلى المرأة الأوروبية)[١].

السيد حسن تقي زاده

السيد حسن تقي زاده[٢] من زعماء حركة «الدستور» في إيـران، وهذه

١. قاسم أمين، المرأة الجديدة، ص٩٠ - ٩١.

٢. نظرًا إلى أن السيد حسن تقي زاده إيراني الأصل، فإن المصادر الموجودة عنه هي مصادر مدونة باللغة الفارسية، ولم تتوفر ترجمتها باللغة العربية، ونظرًا إلى انّ اللغة الفارسية للشيخ الآصفي ﷾ كانت جيدة، فقد اعتمد في هذا البحث على المصادر الأصلية المكتوبة والمطبوعة باللغة الفارسية، لذلك فإنّ ما ينقله هنا هو بالمعنى ومعتمد على فهمه ﷾ من هذه النصوص الفارسية.

الحركة ظهرت أواخر حكم أسرة «قاجار» لتواجه الدكتاتورية القاجارية وتقيم ديمقراطية قريبة من الإسلام، أو في دائرة الإسلام.

وكان السيد حسن تقي زاده من قادة هذه الحركة لولا أنّ اتجاهه الفكري كان يدعو إلى عزل الدين عن السياسة، وإقامة ديمقراطية غربية مفصولة عن الإسلام، وكان يعتقد أنّ الغرب يشكل قمةً في القيم الإنسانية.

أنشأ «تقي زاده»، بالتعاون مع بعض زملائه، الحزب الديمقراطي في الدورة الثانية من المجلس البرلماني، وكان هذا الحزب «حزب الديمقراط» أو «فرقة الديمقراط» أول حزب سياسي في إيران[١].

وكان للحزب علاقة طيبة مع بريطانيا، وكان عمال الإنجليز في البلاد يشجعون المنتمين إلى «الديمقراط»[٢].

وكان من أهم مبادئه فصل الدين عن السياسة، وفصل علماء الدين عن التدخل في السياسة[٣].

ومن شروط الانتماء إليه ألا يكون المنتسب من علماء الدين أو المشتغلين

---

١. بعد ذلك نشأ حزب آخر منافس له وهو (الحزب الاجتماعي المعتدل) في نفس السنة التي نشأ فيها (الحزب الديمقراطي)؛ يعني في الحقيقة هذان الحزبان (الديمقراطي) و(الاجتماعي المعتدل) هما أول حزبين سياسيين رسميين في إيران، تم الإعلان عنهما رسميا في الدورة الثانية للمجلس. وكل منهما كان منافسًا للآخر وعلى طرف نقيض معه، فالأول ثوري انقلابي، والثاني سلمي معتدل نشأ لمواجهة الأول.
(من المحقق)
راجع: ملك الشعراء بهار، تاريخ مختصر احزاب سياسى در ايران، ج١، ص٣٧؛ و ايرج افشار، اوراق تازه ياب مشروطيت ونقش تقى زاده، ص٣٤٩.

٢. ملك الشعراء بهار، تاريخ مختصر احزاب سياسى در ايران، ج١، ص٤١.

٣. المصدر نفسه، ص٣٨.

بالشؤون الإسلامية[١].

وكان تقي زاده من أهم منظّري الحزب ومن قادة المجلس البرلماني. ورغم أنه كان يلبس العِمّة في بداية حياته السياسية، وتخرّج من المدارس الدينية؛ إلاّ أنه كان يعتقد بضرورة الارتماء بأحضان الغرب والأخذ بأسباب الحضارة الغربية، وله في ذلك مقال بعنوان «استيراد الحضارة الغربية»، ألقاه سنة ١٣٤٠ هـ ش في نادي «مهرگان»[٢].

وفي مقال له، في مجلة «كاوه»، عدد ٧، سنة ١٩٢٠، يشكك بوجود جذور حضارية لنا في التأريخ[٣].

وكانت اتجاهاته وميوله إلى التغريب من الأسباب التي دعت اثنين من مراجع التقليد في النجف الأشرف إلى الحكم بإخراجه من المجلس (البرلمان) وإبعاده، مما اضطره إلى الخروج من إيران. وعاد إلى إيران بعد سقوط الأسرة القاجارية واستيلاء «رضا خان بهلوي» على الحكم في إيران[٤].

---

١. ايرج افشار، اوراق تازه ياب مشروطيت ونقش تقى زاده، ص٣٥٢ و٣٦٠ و٣٦٥.

٢. إسماعيل رائين، تاريخ فراموشخانه وفراماسونرى در ايران، ج٢، ص٢٠٩. عنوان المقال بالفارسي: (اخذ تمدن خارجي). (من المحقق)

٣. جلال الدين مدنى، تاريخ سياسى معاصر إيران، ج١، ص٣٦.

٤. ملك الشعراء بهار، تاريخ مختصر أحزاب سياسى در ايران، ج١، ص٣٩ - ٤٠.

الخلط بين العلم والثقافة

شبهة عدم جواز التبعيض

ولعل من المفيد هنا أن نعمد إلى إثارة نقطة حساسة يثيرها دعاة التغريب في الغالب لتسويغ الدعوة إلى الانسلاخ عن التراث، وهي أننا لا نستطيع أن نأخذ بأسباب العلم والتكنولوجيا الغربية ما لم نأخذ بأسباب الحضارة الغربية قبل ذلك، وما لم نحاول أن نفكر كما يفكر الناس في الغرب، وأن نتصور الأشياء كما يتصورها الناس في الغرب، وأن نعيش في المجتمع كما يعيش الناس في الغرب.

إن التمسك بالعلم والصناعة الغربية لا يتيسر لنا إلّا عندما تتغير أفكارنا وتصوراتنا ورؤيتنا لله والكون والإنسان والأشياء، وتتغير أخلاقنا وثقافتنا وحضارتنا باتجاه الأخلاق والثقافة والحضارة الغربية.

وهذا الخلط بين العلم والثقافة هو سبب هذا التضليل كله، ولو شئت أن تكون على يقين مما ذكرنا، فاقرأ ما كتبه الدكتور كامل عياد عن «مستقبل الثقافة في المجتمع العربي»[1].

---

١. هو عبارة عن مقال للدكتور كامل عياد، يشغل حوالي ٢٥ صفحة كما جاء في كتاب (حصوننا

يقول: (لا يمكننا أن نتقدم في الصناعة الآلية... دون نشر هذه الثقافة «الثقافة الغربية» بين الشعب على أكبر مقياس ممكن)[1].

فلكي يتسنى لنا أن نأخذ بأسباب العلم والمعرفة التجريبية، لابد لنا، كما يقول هؤلاء، أن نلقي بأنفسنا مرة واحدة في أحضان الحضارة الغربية، فيما طاب من حضارتهم وفيما خبث منها، وفي (خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب فيها وما يكره، وما يحمد فيها وما يعاب) [2]، كما يقول الدكتور طه حسين.

ومن دون هذا التعميم لا نتمكن من أن نأخذ بشيء من أسباب العلم والمعرفة التي تتصل بنا من الغرب. ويقول الدكتور كامل عياد في الكتاب نفسه: (لا بد لنا من الاعتراف بأنّ تقاليدنا لا تتعارض مع الاقتباس من الثقافة الحديثة السائدة في الغرب. وفي الحقيقة، إذا تركنا المحافظين في بعض الأقطار العربية - وهي فئة قد أصبحت لحسن الحظ قليلة العدد - فإننا لا نجد اليوم بيننا من ينكر ضرورة هذا الاقتباس. وإنما هناك فئة تسمي نفسها بالمعتدلة تريد أن يقتصر الاقتباس على محاسن الحضارة الغربية، وعلى تلك النواحي من ثقافتها التي تتلاءم مع خصائصنا وتقاليدنا وعاداتنا. ونقطة الضعف في هذا الرأي هي الصعوبة في تحديد الصفات والتقاليد والعادات التي نختص بها ويجب أن نحافظ عليها، ثم الاختلاف حول المعيار الذي يميّز المحاسن من المساوئ)[3].

مهددة من داخلها، ص١٠٢)، لكننا لم نعثر على المقال نفسه، لذلك سوف نعتمد في توثيق ما نقله الشيخ ﷾ عنه هنا على الاقتباسات التي اقتبسها محمد محمد حسين في كتابه (حصوننا مهددة من داخلها) من المقال نفسه، كما فعل الشيخ ﷾ في المتن أعلاه أيضًا. (من المحقق)

١. كامل عياد، مستقبل الثقافة في المجتمع العربي، ص١٦٥ نقلًا عن محمد محمد حسين، حصوننا مهددة من داخلها، ص١٠٦.

٢. طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، ص٤٤.

٣. كامل عياد، مستقبل الثقافة في المجتمع العربي، ص١٥١ نقلًا عن محمد محمد حسين، حصوننا مهددة من داخلها، ص١٠٤ - ١٠٥.

فالكاتب هنا يغتبط أشدّ الاغتباط أنّ عدد المحافظين يتناقص، ويسوءه أن المعتدلين لم يعودوا يدركون حقيقة المشكلة. إن المشكلة كلها، عند هؤلاء، هي فقدان المعيار الذي نميّز به المحاسن من المساوئ، وعندما يبلغ الأمر هذا الحد، فمن الخير أن نمضي ولا نعلّق.

ولو أنّ الدعاة إلى التغريب كانوا يفصلون بين العلم والثقافة، وبين الحقول التي نجد فيها عجزًا وتخلفًا والحقول التي نملك فيها غنى وثروة، ونأخذ من الغرب ما نحتاجه نحن من العلم والصناعة، ونرجع إلى رصيدنا وتراثنا فيما أغنانا الله تعالى من كنوز المعرفة والأخلاق والحضارة والعقيدة والفلسفة والمعرفة، لنصدّره لهم...

ولو أنّ دعاة التغريب كانوا يفصلون بين العلم والثقافة، وبين ما نحتاج إليه وما نستغني عنه، لم نكن لندخل في شيء من هذه المداخل التي أساءت إلى حاضرنا وماضينا وحضارتنا، وأغنونا فيما نحن نحتاج إليه من العلوم والاختصاصات التي نفقدها نحن، من دون أن يفصلونا عن تاريخنا وحضارتنا وماضينا وأصالتنا التاريخية.

لكن الضعف النفسي والهزيمة النفسية في مواجهة التطور العلمي والتكنولوجي في الغرب، أدى بنا إلى أن نتنكر لأنفسنا ولتراثنا وحضارتنا، وأن نرمي بأنفسنا في أحضان الغرب والشرق من دون أية حسابات وموازنات، ومن دون تقويم وانتقاء وانتقاد، ومن دون أن يكون لنا - على الأقل - حق النظر في هذه الحضارة لنقوّمها ونميّز خيرها من شرها.

ويتوارى هؤلاء - في الغالب - خلف الكلمات الضبابية في الإعلان عن حقيقة رأيهم وموقفهم في هذه المسألة الخطيرة.

وحقيقة الأمر أنّ هؤلاء يشكّون في إمكانية الرجوع إلى «الإسلام» لفرز

الصحيح عن الخطأ، ولانتقاد الحضارة الغربية.

ولنستمع إلى الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى في هذه المقولة: (وبدت صعوبة هذه المشكلة في أنه لم يسهل تحديد ما يتمشى وما لا يتمشى مع الشريعة؛ أيّ الإطار القانوني الإسلامي، إذ إنّ مسايرة العصر اتجاه ضعيف في الإسلام، على اعتبار أنه من الصعب تطوير منهاج ذي أصول إلهية)[1].

ثم يكشف الكاتب حقيقة الموقف وخلفيات هذه الدعوة من دون سِتار وصراحة باسم «قلة من المصلحين»، فيقول: (واتجهت قلة من المصلحين إلى التصريح بأنّ القوانين الإسلامية مشتقة من بداية التجربة المدنية للعرب، بمعنى أنها كانت مجرد استجابة لمتطلبات هذه الفترة الاجتماعية، الأمر الذي يستلزم إعادة النظر فيها بحسب الظروف المتغيرة)[2]. هذه هي حقيقة الموقف.

إن المواقف الاستسلامية تجاه الحضارة الغربية تستبطن أمرين اثنين:

أوّلهما: الهزيمة النفسية والإحساس بالضعف تجاه الحضارة الغربية.

وثانيهما: عدم الإيمان برسالة الله والشك في أنّ هذه الرسالة من الله العلي القدير، أو الشك في وجود الله تعالى رأسًا.

نظرية أرنولد توينبي ونقدها

نظرية أرنولد توينبي

يرى «توينبي»[3] أنّ عملية الاقتباس الحضاري والمدني يجب أن تتم بصورة

١. أحمد عبد الرحيم مصطفى، حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث، ص٤٩.

٢. المصدر نفسه.

٣. هو مؤرخ وفيلسوفُ تاريخ بريطاني، عاش بين عامي (١٨٨٩ - ١٩٧٦)، صاحب نظرية (التحدي

شاملة أو لا تتم أبدًا، وأيّ أمة عندما تتعرض لبعض الأجزاء والعناصر المقومة لحضارة أخرى، فإن هذه الأجزاء والعناصر الحضارية الغربية والمتناثرة تستطيع أن تخترق جسم هذه الأمة، لتتحول هذه الأجزاء والعناصر، وهي تعمل في جسم آخر غير جسمها، وفي وسط آخر غير وسطها، إلى أجزاء مدمرة وضارة.

وننقل، فيما يلي، كلام توينبي بصورة دقيقة، فهو يقول:

(حين يتم تحليل شعاع حضاري متحرك إلى العناصر التي يتألف منها تكنولوجيًا وسياسيًا ودينيًا وفنيًا...الخ، وذلك بفعل المقاومة التي يبذلها كيان اجتماعي أجنبي تعرّض لفاعلية، فإن التكنولوجيا تكون أسرع وأعمق تغلغلًا من الدين. ومن الممكن أن نعبّر عن هذا القانون بصيغ أدق من هذه، فبإمكاننا أن نذهب إلى أنّ قوة اختراق عنصر من عناصر الإشعاع الثقافي تتناسب تناسبًا عكسيًا مع قيمة العنصر من الناحية الثقافية، إذ يثير العنصر التافه في الجسم المتعرض للهجوم مقاومة أقل مما يثيره العنصر الهام، ومن الواضح أنّ هذا الاختيار الثقافي لأتفه العناصر في ثقافة مشعّة لنشرها على مدى أوسع في الخارج يشكّل قاعدة سيئة الحظ للعبة الاتصال الثقافي، إلاّ أنّ هذا الاتجاه التافه ليس إلاّ أسوأ ما في اللعبة، فإن نفس عملية التحليل التي هي جوهر اللعبة تنذر بتسميم حياة المجتمع الذي يتغلغل في كيانه الاجتماعي عناصر متعددة من شعاع حضاري متفكك.

والاستجابة) (Challenge and response)، وهي نظرية في فلسفة التاريخ مؤداها أنّ الحضارة تنشأ عندما يواجه شعب ما تحديًا يهدد كيانه، فيواجه هذا التحدي ببذل جهد مضاعف استجابة لحب البقاء، ويعتبر الحضارة كأساس للوحدة التاريخية. ويقسّم التاريخ إلى ٢١ حضارة متطورة، وخمس حضارات متوقفة أو جامدة، ثم يدرس هذه الحضارات ويقارن فيما بينها.

(من المحقق)

راجع: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج١، ص٨٣٣؛ ومجموعة المصطلحات العلمية والفنية، مجمع اللغة العربية، ج٢١، ص١٢٤.

ويشبه العنصر المنفلت من عناصر الإشعاع الحضاري إلكترونًا منفلتًا أو مرضًا معديًا منفلتًا، من حيث إنه قد تثبت فاعليته المدمرة حين ينفصل عن النظام الذي كان يحكمه ذلك الوقت، ويصبح حرًا في أن ينظم نفسه في جو مخالف.

فهذا العنصر الثقافي، أو الميكروب، أو الإلكترون، كان لا يتجه في نظامه الأصلي إلى التدمير حين كان يحد من فعاليته ارتباطه بجزئيات أخرى داخلة في نطاق نمط تتوازن أجزاؤه، ولا تتغير طبيعة الجُزيء، أو الميكروب المنفلت أو الوحدة الحضارية المنفلتة، حين يتحرر كل منها من نمطه الأصلي، إلّا أنّ نفس هذه الطبيعة تكون أميل إلى التدمير بعد أن ينفصل عن ارتباطاته الأصلية التي كان في ظلها عديم الضرر، وفي ظل مثل هذه الأحوال يكون لحم رجل ما سامًّا لرجل آخر)[1].

والنتيجة التي يقصدها توينبي من هذا الكلام أنّ الأمة عندما تتعرض لضرورة الاقتباس والأخذ من أمة أخرى، يجب أن تفكر في التخلص الكامل من شخصيتها وأصالتها وقيمها وحضارتها وتنصهر بصورة كاملة في الأمة التي تقتبس منها؛ ثقافة وخُلقًا وحضارة وعلمًا وصناعة و...، ولا يمكن الفصل بين هذه الأجزاء والعناصر لتختار من هذه الحضارة ما تشاء وتترك ما تشاء!

نقد النظرية

هذه النظرية تخضع لكثير من المناقشة والنقد؛ فإن الاقتباس، وعلاقة الأخذ والعطاء، والتبادل بين أمتين وحضارتين يتم في مجالين هما: المجال العلمي، والمجال الثقافي.

---

١. Toynbee, the world and west, chap v.

نقلًا عن أحمد عبد الرحيم مصطفى، حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث، ص٥٠ - ٥١

والأوّل يخضع للثاني، ويتكيف بموجب أوضاعه وظروفه. كما أنّ الثاني يحكم الأول ويصبغه بصبغته الخاصة؛ فالمسائل العلمية، كالجراحة والصيدلة والطب والرياضيات والهندسة والكهرباء والذرة والميكانيك تخضع لمسائل من نوع آخر في الأخلاق والمعرفة والعقيدة والفلسفة والأدب، وهي المسائل الثقافية في حياة الإنسان.

كما أنّ مسائل القسم الأول تتكيف بموجب المسائل التي ذكرناها في القسم الثاني (المسائل الثقافية)؛ فالكيمياء والصيدلة يمكن أن تستخدم في خدمة الإنسان وخدمة الأغراض الطبية والزراعية والغذائية، في حالة وجود وعي وثقافة إنسانية، وفي حالة اكتمال النضج الثقافي للإنسان، كما أنهما يمكن أن يخدما أغراضًا لا إنسانية ويُستخدما في تصنيع الغازات السامة وإعدادها للاستعمالات العسكرية، وتصنيع القنابل الكيمياوية في حالة فقدان الوعي والثقافة الإنسانية، وفقدان المعايير الأخلاقية.

وكذلك الذرّة يختلف استخدامها والاستفادة منها باختلاف الوعي والثقافة عند الإنسان. وهذا يعني أنّ ظروف الاحتكاك العلمي تختلف وتتنوع بين ظروف أمينة وغير أمينة حسب نوع الثقافة التي تتثقف بها تلك الأمة.

ظروف الاحتكاك العلمي

الظروف الآمنة للاحتكاك العلمي

ونخلص من هذا القول إلى النتيجة التالية: إن الأمة إذا كانت تحتفظ بأصالتها الثقافية والأخلاقية والعقيدية، فلن يضرها الاحتكاك العلمي وحالة الأخذ والعطاء مع الحضارات الأخرى في المسائل العلمية؛ وذلك لأنّ المسائل العلمية، عندما تنفصل عن حضارة وتخترق جسم حضارة أخرى، لا تحمل معها

الشحنة الحضارية التي كانت تحملها في الحضارة الأولى، وإنما تتقبل منها الأمة الجانب العلمي مجردة عن أيّ تأثيرات ثقافية أخرى. وتكون الحضارة الجديدة بمثابة مصفاة تقوم بتصفية كل ما يعلق بهذه المسائل العلمية من ظروف أخلاقية وحضارية غريبة عن كيان الأمة، وتمنع عن الأمة ما يعلق بها من سموم لا تناسب جسم الأمة.

الظروف غير الآمنة للاحتكاك العلمي

أما إذا كانت الأمة المقتبِسة ضعيفة حضاريًا، لا تملك المقومات الأخلاقية والفكرية والمناعة الكافية التي تحميها من الثقافة الأجنبية، فإنها إذا تعرضت في حياتها إلى الاقتباس من الأمم الأجنبية الأخرى والاحتكاك بها، فسوف تنتقل إليها المسائل العلمية مقرونة بكل ظروف وملابسات الأمة المصدِّرة سياسيًا وأخلاقيًا وفكريًا، وليس من الممكن عزل المسائل العلمية عن المسائل الثقافية عند ذلك، ولا يمكن حماية الأمة المستورِدة من ثقافة الأمة المصدِّرة وأخلاقها، ولنا تجربتان تاريخيتان تؤكدان هذه الحقيقة:

تجربتان تاريخيتان

١. تجربة الفتوحات الأولى

وهي تجربة امتداد الفتوحات الإسلامية إلى الروم وإيران. لا شك أنّ الأمة الإسلامية كانت تقتبس وتأخذ من خلال هذه الفتوحات الكثير من العلم من الأمم الأخرى؛ من المسائل الإدارية والمحاسبة والطب والكيمياء والفلك، ولكن من دون أن تتأثر بشيء من ظروف الأمم الأجنبية في الأخلاق والثقافة والحضارة، وإنما كانت تستقبل هذه المسائل وتصبغها بصبغتها الحضارية الخاصة، ثم تستخدمها استخدامًا مقبولًا.

٢. تجربة التغريب المعاصرة

وهي تجربة احتكاك الأُمّة الإسلامية بالحضارة الغربية في ظروف سقوط الدولة العثمانية. فقد ألجأتها الحاجة إلى أن تأخذ من الغرب كثيرًا من مسائل العلوم التجريبية والرياضية والإدارية إلاّ أنها، لما كانت لا تملك المناعة والمقومات الحضارية الكافية، لم تستطع أن تحمي نفسها من الـظروف الحضارية للغرب، فصبغها الغرب بصبغته الخاصة.

عمل دعاة الانسلاخ الحضاري

والآن بعد هذا الاستعراض، نشرح كيف بدأ دعاة «الانسلاخ الحضاري» - حكّامًا ومفكرين - عملهم بقطع الجسور بين الجيل الصاعد والسلف، وتعكير الروافد الحضارية بين هذا الجيل وما قبله من الأجيال.

١. تبديل الحرف العربي بالحروف اللاتينية في بعض البلاد الإسلامية

ونذكر هنا نماذج لهذه المحاولات:

أ. تبديل الحرف العربي بالحروف اللاتينية في تركيا

وقد كان «مصطفى كمال أتاتورك»، الذي أسقط الخلافة العثمانية، وأقام في تركيا دولة علمانية قومية، من أكثر دعاة التغريب إمعانًا في دفع الأمة باتجاه الحضارة الغربية، واستئصال جذورها الحضارية والتاريخية.

ولقد عمد مصطفى كمال أتاتورك إلى الحرف العربي بالذات، وعمل على القضاء عليه في تركيا، واستبداله بالحروف اللاتينية. وحسبك بذلك من أداة قوية وخطيرة لقطع الصلات الحضارية والفكرية بين هذا الجيل وما سبقه من

الأجيال، فإن الحرف المكتوب من أقوى وسائل الارتباط الفكري والحضاري بين الأجيال، وعندما يتم القضاء على الخط، تنقطع أقوى الأواصر وأكثرها متانة وفاعلية في ربط الحاضر بالماضي.

إذًا؛ كان المخططون لعملية «الانسلاخ والتعويم الحضاري» يعملون في غاية الدقة، فلم يكتفوا بقطع الفروع والأغصان، وإنما عمدوا إلى أقوى هذه الجسور فقطعوها، وعاد الجيل الجديد، الذي عاصر الردة الجاهلية وسقوط الدولة العثمانية في تركيا، لا يستطيع أن يقرأ القرآن والحديث والتاريخ والأخلاق والفقه والعقيدة من المصادر الإسلامية.

يقول الأمير شكيب أرسلان[1] في كتابه «حاضر العالم الإسلامي»[2]:

(ولقد روّج هذه الأغلوطة مصطفى كمال، رئيس جمهورية أنقرة، لغرض في نفسه من جهة سلخ الأتراك تدريجًا من العقيدة الإسلامية وصرفهم عن اللغة العربية، فسار بتركيا سيرة من يجعل الدين الإسلامي أجنبيًا عن الحكومة

---

١. هو شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان، المعروف بأمير البيان شكيب أرسلان (١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م - ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م): من سلالة التَّنُوخِيِّين ملوك الحيرة، عارف بالأدب، والسياسة، مؤرخ، من أكابر الكتّاب، ينعت بـ (أمير البيان)، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق. عالج شكيب أرسلان السياسة الإسلامية قبل انهيار الدولة العثمانية، وكان من أشد المتحمسين من أنصارها، واضطلع بعد ذلك بالقضايا العربية فما ترك ناحية منها إلا تناولها تفصيلًا وإجمالًا. وأصدر مجلة (La Nation Arabe) باللغة الفرنسية في جنيف للغرض نفسه. وقام بسياحات كثيرة في أوربا وبلاد العرب، وزار أمريكا سنة ١٩٢٨، وبلاد الأندلس سنة ١٩٣٠، وهو في حلّه وترحاله لا يدع فرصة إلا كتب بها مقالًا أو بحثًا. من أشهر آثاره: «الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية»، و«غزوات العرب في فرنسا وشمالي إيطاليا وفي سويسرا»، و«لماذا تأخر المسلمون»، و«الارتسامات اللطاف»... وله نظم كثير.
(من المحقق)
للاطلاع راجع: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٣، ص١٧٣.

٢. راجع الملحق رقم (٤): المؤلّف الحقيقي لكتاب (حاضر العالم الإسلامي)

التركية، كما أنّ الدين المسيحي هو بزعمه أجنبي عن الحكومات الأوروبية الراقية، وتابعه في ذلك الحزب الذي يسمى في تركيا «خلق فرقه سي»، والذي هو من أوله إلى آخره أشبه بجند لمصطفى كمال تحت قيادته، لا يملكون معه قبضًا ولا بسطًا، فألغوا جميع ما تشتم منه رائحة الإسلام من أوضاع الحكومة التركية، وأبطلوا المحاكم الشرعية بعد أن أبطلوا العمل بالشريعة، وألغوا الوزارة التي كان اسمها «مشيخة الإسلام»، وجعلوا مكانها دائرة صغيرة تابعة لنظارة الداخلية سموها «ديانت ايشي»؛ أي أمور الديانة، وحذفوا من دستور تركيا المادة التي فيها «إن الإسلام هو دين الجمهورية التركية»، وكانوا على مدى بضع سنوات، أبطلوا إقامة مراسم العيدين: النحر والفطر، وقالوا إنّ الحكومة التركية لا تعرفهما، ولكنهم وجدوا فيما بعد أن المأمورين، شاء رئيس الجمهورية أم أبى، لابد لهم من الاحتفال بهذين العيدين، فعادوا في السنة الماضية يعطّلون دوائر الحكومية فيهما، وعاد رئيس الجمهورية يقبل فيهما التهاني.

وأما الكتابة التركية بالحروف العربية، برغم كل ما جرى لها من المعارضة، فقد كان تعليلها في ظاهر الحال تسهيل التعليم على النشء، وتقصير المدة اللازمة للقراءة، ولكن الغرض الحقيقي منها كان إقصاء الترك عن العرب وإبطال قراءة القرآن تدريجيًا، وأهم من ذا وذا إقناع أوروبا بأنّ تركيا قد تفرنجت تمامًا، وأنه صار من العدل أن تدخل في العائلة الأوروبية، ولهذا الغرض الأخير نفسه حمل مصطفى كمال الأتـراك على لبس القبعة ليزدادوا اندماجًا في الأوروبيين. ولقد كان ترك الحروف العربية ضربة عظيمة على تركيا في حياتهم العلمية والأدبية والاقتصادية والتجارية، وتعذرت الكتابة على الجميع بالحروف اللاتينية، فانحصرت في فئة قليلة، وقلّت المكاتباب والمراسلات بين الناس، وقلّ جدًا عدد القراء للكتب والجرائد، وأصبحت الجريدة التي كان عدد قرائها يحصى بالألوف لا يقرأها ولا خمسمائة شخص، وصارت الحكومة مضطرة أن تقوم بأودها.

وازدادت الكتابات الرسمية صعوبة، فتأخرت أشغال الناس لدى الحكومة، ودثرت ملايين من الكتب، فخربت بذلك بيوتًا لا تحصى. وأما من الجهة الفنية، فالحروف اللاتينية، برغم ما أدخلوا من العلامات على بعضها لإيتاء اللفظ التركي حقه، لا تؤدي اللفظ التركي الصحيح في كثير من المواضع، فلذلك قد تغير بها اللفظ التركي عن أصله وصارت كأنها لغة جديدة. ثم إنّ الحروف اللاتينية المنفصلة، وإن كانت أسهل في القراءة والكتابة، فإنها تأخذ من الفسحة على القرطاس وتستغرق من الوقت للكتابة أكثر مما تستغرق الحروف العربية بكثير، وإنّ الكتابة العربية هي أشبه شيء بالاختزال (stenographie)، وإنها أوقع على مبدأ الاقتصاد في الزمن والمكان، وأقرب أن تكون كتابة العصر الحالي المبني كل وضع فيه على الاختصار والاقتصاد.

ولا تزال هذه الأزمة الكتابية مشتدة في تركيا، ولكن الغازي لا يزال مصممًا على حمل تلك الأُمّة على الحروف اللاتينية حبًا بالتفرنج.

والذين لا يعلمون حقائق الأحوال يظنون أنّ الأتراك راضون مغتبطون بإلغاء الشريعة الإسلامية من المحاكم، ورفع التعليم الديني من الكتاتيب والمدارس، وإجبار النساء على السفور، وخلط الإناث والذكور في دور العلم، وحمل الأوانس على الزّفْن[1] مع الشبان، ولبس القبعة، والكتابة بالحروف اللاتينية، إلى غير ذلك مما أحدثته الحكومة الأنقرية الكمالية. ويقولون إنه لولا رضى الترك بذلك لثاروا بحكومتهم، ولأسقطوها ولردوها عن ثنيات الطرق! ولكن الذي يتأمل فيما تحمّله الشعب التركي من المصائب وما نوجز من الحروب المستمرة بدون انقطاع، ويعلم أن جيران الأتراك كلهم واقفون لهم بالمرصاد، ينتظرون أول غرة ليعتلبوها وينقضّوا عليهم ويعيدوهم أثرًا بعد عين، والذي يفكر في أنّ آمال الأتراك كانت بعد الحرب العامة، قد انقطعت من الاستقلال، وأنّ كثيرين

١. من زَفَنَ يَزْفِنُ: رَقَصَ. لسان العرب، مادة: زفن.

منهم ومن جملتهم عصمت باشا رئيس وزارتهم الحالية، كانوا يذهبون إلى طلب (انتداب) أمريكا؛ أي وصايتها على تركيا، ومع ذلك فقد أذِن الله بأسباب متعددة يطول شرحها أن تتمكن تركيا من استرجاع استقلالها وأن تعود دولة كسائر الدول ولو من الدرجة الثانية. نعم؛ الذي يستعرض أمام نظره جميع ما أناخ على تركيا من المصائب والنوائب التي تدك الجبال، يفهم لماذا هي صابرة على مرارة هذه الأوضاع الاجتماعية التي هي مخالفة لمذهبها ومشربها وعادتها وذوقها، ولماذا هي تفضل الخضوع لها على الثورة والانتفاض والتطريق للأعداء أن يعودوا فيقبضوا على تركيا كما كانوا قرروا على أثر الحرب العامة.

أما العقيدة الإسلامية، فلم تزعزعها حتى الآن في تركيا هذه السياسة اللادينية، ولا يزال الشعب التركي شديد الاعتصام بعروة الدين الوثقى، تدل على ذلك المظاهر الدينية في أسطنبول وغيرها، مما لم يخفَ على الإفرنج الذين أشاروا إليه في جرائدهم، ولن يكون خطر على إسلام الشعب التركي إلّا إن استمر الحكم الحالي مدة طويلة، ونشأت الأفواج الجديدة على ما هي عليه من فقد التعليم الديني)[1].

أتاتورك والدعوة إلى التغريب

نقدم، فيما يلي، بعض المقاطع من كتاب «أتاتورك»[2] لعرفان أوركا، الذي ألّفه عن إخلاص وإعجاب بشخصية كمال، وهذه المقاطع من الكتاب تصوره

١. شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، ج٣، ص٣٥١ - ٣٥٣.

٢. أصل الكتاب باللغة الإنجليزية بعنوان (Atataurk) للكاتب (Irfan Orga)، ولم نجد له ترجمة باللغة العربية، لذلك فإن الشيخ ﷾ في كل ما ينقله هنا عنه، فهو يعتمد على ما نقله أبو الحسن الندوي في كتابه (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية)؛ حيث إنه هناك ينقل عن هذا الكتاب مباشرة بحسب ادعائه. لذلك؛ سوف يكون الملاك في توثيق وتصحيح ما نقله الشيخ ﷾ عن عرفان أوركا هو ما جاء في هذا الكتاب. (من المحقق)

تصويرًا لا مبالغة فيه ولا تشويه[١]. يقول أوركا:

(لقد اقتنع - أتاتورك - بأن كفاحه يجب أن يتوجّه إلى الدين، فإنه منافسه الأكبر، وكان يعتقد من صغره أنه لا حاجة إلى الله، إنه اسم غامض، خداع، مجرد من كل حقيقة، وكان لا يؤمن إلاّ بالمشاهد المحسوسة[٢].

وكان يرى أنّ الإسلام إنما ظل عاملًا هدامًا في الماضي، وأنه قد جنى على تركيا جناية كبيرة، وألحق بها خسائر فادحة... وكان يرى أنّ الناس أصبحوا فريسة الأوهام والجمود بتأثير الإسلام، وكان يبغض الرجل الذي يخضع للقضاء والقدر، ويقول: «هكذا أراد الله»، و«هذا الذي قدّر لي». وكان يعتقد أنه لا وجود للإله، والإنسان يصنع قدره، وكان يقول في أكثر الأحيان: إنّ قوة العقل وقوة الإرادة تتغلبان على قوة الإله، ولكن يقول المتدينون: «الله يمهل ولا يهمل»، كان يقول أ لم يطّلع هؤلاء المتدينون على الطاقة الكهربائية التي تشتغل بسرعة؟ وكان مصممًا على سَنّ قانون لتحريم الدين في تركيا ولو احتاج ذلك إلى استخدام القوة وإلى الخدعة والتضليل)[٣].

ويقول في موضع آخر: (ولم يكن لديه معنى لمبادئ علم النفس وللنظريات والفلسفات، ولذلك لم يمنعه شيء عن أن يعتبر الدين غير لازم لتركيا، وشيئًا لا حاجة إليه، ولكنّ الذي أعطاه إلى الأمة التركية عوضًا عن الدين هو الإله الجديد؛

---

١. العبارة مستوحاة من عبارة أبي الحسن الندوي في كتاب (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية)، ص٥٢. (من المحقق)

٢. وقد ذكر المؤلف في كتابه أنّ (أتاتورك) في آخر عهده، كان يرفع قبضته ويشير بها إلى السماء ساخرًا مهددًا. راجع: أبو الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص٥٤. (من المحقق)

٣. Irfan Orga, Atataurk, p ٢٣٦ - ٢٣٨.
نقلًا عن أبو الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص٥٤.

أيّ الحضارة الغربية)[1].

ويقول في موضع آخر: (وكان يبغض الإسلام والعقيدة الصحيحة الراسخة بغضًا شديدًا. وكان يقول: يجب أن نكون رجالًا من كل ناحية، قد قاسينا خطوبًا ومصائب عظيمة، وكان السبب في ذلك أننا عشنا في عزلة عن الحياة، ولم نحاول معرفة اتجاه العالم، ويجب أن لا نحتفل بما يقول الناس، ونحن في طريق الحضارة والمدنية، ويجب أن نعتز بذلك ونفتخر.

أُنظر إلى المسلمين في نواحي العالم الإسلامي، ماذا يعانون من المصائب والنوازل والدمار، لماذا؟ لأنهم لم يستطيعوا أن يستخدموا عقولهم للانسجام مع هذه الحضارة السامية المشرقة، وهذا هو سبب بقائنا مدة طويلة في الحضيض ووراء الركب وتردّينا الآن في الهوة السحيقة، وإن استطعنا في السنوات الماضية أن ننجح إلى حد في إنقاذ أنفسنا، فذلك لأنّ عقلياتنا قد تطورت، ولكننا لا نقف على مكان؛ بل إنا نهضنا لنتقدم ونواصل السير إلى الأمام، فليحدث ما يحدث، ليست لنا الآن طريق أخرى، ويجب أن تعلم الأمة أنّ الحضارة نار ملتهبة تحرق جميع من لا يخضع لها)[2].

دور أتاتورك في إلغاء الدولة العثمانية

ويقول مؤلف كتاب أتاتورك: (لم يكن ذلك سرًا أنّ مصطفى كمال لا يدين بدين، لذلك كان شائعًا بين الناس أنّ العلاقة بالإسلام[3] ستلغى قريبًا، وقد فزع الناس حين شاع أنّ مصطفى كمال رمى المصحف على رأس شيخ الإسلام الذي كان من كبار علماء الإسلام وشخصية محترمة، ولم يكن جزاء ذلك إلاّ أن

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه، ص٥٨.

٣. في المصدر بلفظ (الخلافة). راجع: المصدر نفسه. (من المحقق)

يلقى حتفه لساعته، ولكن ذلك لم يحدث، ويدل ذلك على أنّ الزمن قد تطور كثيرًا)[1].

ويذكر المؤلف حب وغرام أتاتورك بالحضارة الغربية وما كان لها في نظره من القدسية والحرمة، وكيف كانت تسيطر على عواطفه، وتتغلغل في عروقه ودمه، فيقول: (إنّ مصطفى كمال كان يتمسك إلى حد كبير بما يلقن ويقول ويأمر به الناس، وكان يعبد هذا الإله الجديد «الحضارة الحديثة» بحماس ولهفة، وكان لها عابدًا وفيًا، وقد نشر هذه الكلمة «الحضارة» من أقصى البلاد إلى أقصاها، وعندما كان يتحدث عن هذه الحضارة تتّقد عيناه لمعانًا وإشراقًا، ويظهر على وجهه إشراق كإشراق الصوفية عند مراقبة الجنة)[2].

(يقول مصطفى كمال لشعبه: يجب علينا أن نلبس ملابس الشعوب المتحضرة الراقية، وعلينا أن نبرهن للعالم أننا أمة كبيرة راقية، ولا نسمح لمن يجهلنا في الشعوب الأخرى بالضحك علينا وعلى موضتنا القديمة البالية. نريد أن نسير مع التيار والزمن)[3].

ثم يقول المؤلف: (انطلق كمال أتاتورك يكمل عمل التحطيم الشامل الذي شرع فيه، وقد قرّر أنه يجب عليه أن يفصل تركيا عن ماضيها المتعفّن الفاسد، يجب عليه أن يزيل جميع الأنقاض التي تحيط بها، هو حطّم فعلًا النسيج السياسي القديم، ونقل السلطنة إلى «ديمقراطية»، وحوّل الإمبراطورية إلى قطر فحسب، وجعل الدولة الدينية جمهورية عادية.

إنه طرد السلطان «الخليفة»، وقطع جميع الـصلات عن الإمبراطورية العثمانية، وقد بدأ الآن في تغيير عقلية الشعب بكاملها، وتصوّراته القديمة

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه، ص٥٥ - ٥٦.

٣. المصدر نفسه، ص٥٦.

وعاداته ولباسه وأخلاقه وتقاليده وأساليب الحديث ومناهج الحياة المنزلية التي تربطه بالماضي وبالبيئة الشرقية، ولقد كان ذلك أصعب بكثير من تكوين الجهاز السياسي من جديد، وكان يشعر بصعوبة هذه العملية، فقد قال مرّة: «انتصرت على العدوّ، وفتحت البلاد، هل أستطيع أن أنتصر على الشعب؟!»)[١].

(قدّم مصطفى كمال، في ٣ آذار (مارس) ١٩٢٤ م، مشروعًا تحوّلت به الدولة العثمانية إلى دولة تركية[٢]، وألغى منصب الخليفة. وقد كان مصطفى كمال صريحًا وجريئًا في حديثه عن هذا الموضوع، فقال: إنّ الإمبراطورية العثمانية قامت على أسس الإسلام، وإنّ الإسلام بطبيعته ووضعه عربي، وتصوّراته عربية، وهو ينظّم الحياة - من ولادة الإنسان إلى وفاته - ويصوغها صياغة خاصة، ويخنق الطموح في نفوس أتباعه، ويقيد فيهم روح المغامرة والاقتحام، والدولة لا تزال في خطر مادام الإسلام دينها الرسمي)[٣].

(كل ما قرّره البرلمان لم يسترْعِ الانتباه إلاّ قليلًا. كان ذلك في الواقع ضربة قاضية على الإسلام، وأصابه في المقتل، وقد كان تأثير قرار توحيد المعارف بعيد الأثر في نظام الثقافة والتعليم، فقد استحوذت بذلك وزارة المعارف العمومية على الجهاز التعليمي كله في حدود الجمهورية، ووضعت يدها عليه، وقد شلّ هذا التطوير نشاط المدارس وحرية الأساتذة والمعلمين الذين كانوا يباشرون التدريس فيها)[٤].

---

١. المصدر نفسه، ص٥٨ - ٥٩.

٢. في المصدر بلفظ (الدولة التركية دولة علمانية «Secular»). راجع: المصدر نفسه، ص٥٩. (من المحقق)

٣. المصدر نفسه، ص٥٩.

٤. المصدر نفسه، ص٦٠.

بين أتاتورك ومعاصره هتلر

وقد تحدّث المؤرّخ الكبير أرنولد توينبي[١]، في كتابه (A Study of History)[٢] ببلاغة عن مدى التأثير الذي أحدثه تغيير الحروف في تركيا وذكاء كمال في اختيار أفضل الطرق لذلك. يقول: (قد شاع في الناس أنّ مكتبة الإسكندرية، التي كانت تضم ذخائر أكثر من تسعة قرون علمية، سجر بها التنّور لتسخين الماء للحمّامات[٣]. وقد قام هتلر في عصرنا بكل وسيلة، بإتلاف الذخائر العلمية التي تعارض فكرته وإبادتها وقد جعل حدوث المطابع نجاح هذه العملية شبه مستحيل.

وقد كان مصطفى كمال، معاصر هتلر، أكثر توفيقًا وذكاء في إيثار الطريقة التي تضمن نجاحه، كان دكتاتور تركيا يريد أن يحرّر مواطنيه وعقلياتهم من أجواء المدنية الطورانية التي ورثوها ودرجوا عليها، ويصوغهم بقوة في صياغة الحضارة الغربية، وقد اقتصر على تحويل حروف الهجاء مكان إحراق الكتب... وقد أصبحت الذخائر الكلاسيكية للكتب الفارسية والعربية والتركية لا تتناولها أيديهم، وأصبحت أجنبية لا تبلغها مداركهم، وأصبح إحراق الكتب عملًا لا لزوم له؛ لأن حروف الهجاء قد أُلغيت، وقد كانت مفتاح هذا النتاج العلمي والإفادة منه، وبذلك ستظلّ هذه الذخائر مقفلة في الدواليب ينسج عليها العنكبوت، ولا يطمح في قراءتها إلاّ بعض الشيوخ المسنّين من العلماء)[٤].

---

١. Arnold Toynbee

٢. أيضا هنا يقتبس الشيخ ﷺ كلام توينبي مما نقله الندوي عنه في كتابه (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية). (من المحقق)

٣. راجع الملحق رقم (٥): مَن أحرق مكتبة الإسكندرية؟

٤. Toynbee, A Study of History, p. ٦١٨ - ٦١٩.
نقلًا عن أبو الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص٦١.

ب. محاولة تغيير الحرف العربي في مصر وإيران

وقام آخرون، من الحكام والكتّاب، بمحاولات كثيرة أخرى في هذه المرحلة نفسها للقضاء على الخط العربي في أجزاء العالم الإسلامـي؛ إلاّ أنها باءت بالفشل جميعًا. ففي إيران نهض رضا خان بهلوي، الدكتاتور الإيراني المعروف، بالمهمة نفسها، واستخدم مجموعة من الكتّاب لاستبدال الحرف العربي المكتوب بالحرف اللاتيني؛ إلاّ أنه فشل في ذلك.

وفي مصر تبنى جمع من الكتّاب والصحف هذا المشروع، وكانت مجلة «المقتطف» المصرية تحمل هذه الدعوة على صفحاتها.

يقول د. محمد محمد حسين في كتابه «الاتجاهات الوطنية»:

(تقدّم عضو من أبرز أعضاء المجمع العلمي المصري[1]، وهو عبد العزيز فهمي، ثالث الثلاثة الذين بُنِي عليهم - الوفد المصري - في سنة ١٩٤٣ م، باقتراح الكتابة العربية بالحروف اللاتينية، وشُغل المجمع[2] ببحث اقتراحه عدة جلسات، امتدت خلال ثلاث سنوات، ونشر في الصحف، وأرسل إلى الهيئات العلمية المختلفة)[3].

---

١. عبارة (المجمع العلمي المصري) هي إضافة من الشيخ؛ حيث لم ترد هذه العبارة في المصدر الأصلي، والوارد هو: (فقد تقدم عضو من أبرز أعضائه)، ومن الواضح أن الشيخ بإضافته لهذه العبارة يريد توضيح مرجع الضمير. لكن بالرجوع إلى المصدر الأصلي نجد أن مرجع الضمير هو (مجمع اللغة العربية)؛ أي أنّ هذا العضو الذي يتحدث عنه الكاتب هو عضو في مجمع اللغة العربية، فيصبح مقصود المؤلف: (تقدم عضو من أبرز أعضاء مجمع اللغة العربية...). راجع الهامش ٣. (من المحقق)

٢. المقصود من (المجمع) كما تقدم في التعليق السابق هو (مجمع اللغة العربية) الذي أنشئ خصيصًا لأجل حماية وصيانة اللغة العربية الفصحى. (من المحقق)

٣. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج٢، ص٣٦٣. الكاتب في هذه الفقرة في سياق الحديث عن الدعوات المعادية للغة العربية التي تبناها مجموعة

٢. تهديم الفصحى

وعمد دعاة الانـسلاخ الحضاري إلى لغة القرآن بعد ذلك، فحاولوا أن يحجبوها عن حياتها اليومية، في مجال الصحافة والأدب والإذاعة والكتابة والقصة والخطابة، وعملوا على تحجيم مساحة لغة القرآن (الفصحى) ودورها في حياتنا واستبدالها باللغة العامية[١].

وليس من بأس بعد ذلك - يقول هؤلاء - على صلة الناس بكتاب الله وحديث رسول الله ﷺ ومصادر الثقافة والتشريع الإسلامي، فإنّ بإمكان العرب أن يحتفظوا بلغتهم الفصحى لهذا المجال الخاص المحدود، وبقدر ما يؤدّي هذه الخدمة المحدودة.

من المتغربين الذين تأثروا بالثقافة الغربية، وأرادوا تطبيق الثقافة الغربية على مختلف الأصعدة، فحتى اللغة العربية لم تسلم منهم، فقد دعا بعضهم إلى تغيير قواعد اللغة العربية ووضع قواعد جديدة بحيث تصبح أسهل، والبعض الآخر دعا إلى اتخاذ اللهجات المحلية (اللغة المحكية) لغة رسمية للتعامل والكتابة وكل ما يحتاج إلى لغة بدلًا من اللغة العربية الفصحى، وهناك من دعا إلى تبديل الأحرف العربية إلى الأحرف اللاتينية. ويتأسف الكاتب في هذا الفصل (الفصل الرابع) من الكتاب بسبب الأوضاع التي آلت إليها دعوات التغريب في البلاد العربية والإسلامية، وأنّ اللغة العربية لم تسلم من محاولات تحريفها والقضاء عليها، وأنه تم اختراق مجمع اللغة العربية من قبل هؤلاء، وأصبحوا أعضاء فيه؛ بل إنّ من أعضاء هذا المجمع آنذاك مَن هم من المستشرقين غير العرب؛ مثل المستشرق (جب) (H. A. R, Gibb) كما يشير الكاتب في الهامش رقم ٢ من نفس الصفحة. ومن المعروف أنّ لهؤلاء المستشرقين صفة استعمارية، وهناك وظائف ومهام كلفتهم بها بلادهم لتحقيق مطامعهم الاستعمارية، وهنا لك أن تتخيل مدى وسعة اختراق الاستعمار لمؤسساتنا ومقدار التخريب والتحريف الذي قاموا به...
(من المحقق)

١. لم يقتصر الأمر على الترويج للغة العامية (المحكية) بين الناس؛ بل اليوم تعدى ذلك إلى الدعوة والترويج لتبادل الرسائل على مواقع التواصل والشبكة العنكبوتية - التي هي بالأساس غالبًا ما تكون باللغة المحكية - بالحروف اللاتينية بدلًا من الحروف العربية. (من المحقق)

يقول طه حسين في ذلك، وهو من الروّاد الأوائـل لهذه الدعوة القائلة بإلغاء لغة القرآن من حياتنا اليومية والثقافية: (وفي الأرض أمم متديّنة - كما يقولون - وليست أقل منا إيثارًا لدينها، ولا احتفاظًا به ولا حرصًا عليه، ولكنها تقبل، في غير مشقّة ولا جهد، أن تكون لها لغتها الطبيعية المألوفة التي تفكّر بها، وتصطنعها لتأدية أغراضها. ولها في الوقت نفسه لغتها الدينية الخاصة التي تقرأ بها كتبها المقدسة، وتؤدّي فيها صلواتها؛ فاللاتينية مثلًا هي اللغة الدينية لفريق من النصارى، واليونانية هي اللغة الدينية لفريق آخر، والقبطية هي اللغة الدينية لفريق ثالث، والسريانية هي اللغة الدينية لفريق رابع... وبين المسلمين أنفسهم أُمم لا تتكلم العربية، ولا تفهمها، ولا تتّخذها أداة للفهم والتفاهم، ولغتها الدينية هي العربية، ومن المحقّق أنها ليست أقل منا إيمانًا بالإسلام، وإكبارًا وذيادًا عنه وحرصًا عليه)[1].

١. طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، ص١٨٨. وربما أوضح منه التقرير الذي وجّهه إلى مدير الجامعة المصرية آنذاك، وجاء فيه: (الناس مجمعون على أن تعليم اللغة العربية وآدابها في حاجة شديدة إلى الإصلاح، وعلى أن تلاميذنا وطلابنا لا يستفيدون من الجهود العنيفة التي تُبذل لتعليمهم لفتهم كما كان ينبغي أن يستفيدوا، إنما هم يشعرون بشيء غير قليل من الوحشة إذا أخذوا في درس اللغة العربية وآدابها لا يشعرون بمثله حين يأخذون في درس اللغات والآداب الأوروبية، وليس لهذا كله في حقيقة الأمر إلا سببان أساسيان: الأول: أن تعليم اللغة العربية وما يتصل بها من العلوم والفنون ما زال قديما في جوهره بأدق معاني هذه الكلمة؛ فالنحو والصرف والأدب تُعلم الآن كما كانت تُعلم منذ ألف سنة... فكل هذه المظاهر لا تدل على شيء ولا تنتهي إلى شيء جوهري، ما دام المذهب في تعليم الإعراب والتصريف وغيرهما من أنواع العلم هو بعينه المذهب الذي كان يسلكه البصريون والكوفيون وأهل بغداد في العصر القديم، ولن ينتج تعليم اللغة العربية وآدابها نتائجه المعقولة في هذا العصر الحديث إلا إذا تطورت علوم اللغة العربية، وصيغت في صيغ حديثة). المصدر نفسه، ص٢٢٩ - ٢٣٠.
(من المحقق)

أدوات حجب الأمة عن تراثها اللغوي

وليس الأمر- كما يقول هؤلاء - هو الحرص على تيسير الحياة للناس، وأنّ الفصحى هي العقبة في طريق هذا التيسير، فقد بقيت الفصحى أداة التفاهم والتفكير ووسيلة المسلمين جميعًا - وليس العرب فقط - في حياتهم العقلية والأدبية خلال هذه القرون الأربعة عشر، وظلّت اللغة العربية الفصحى تطاوع الشعر والنثر من القديم والجديد، وتطاوع العلم والدين في هذه العصور الطويلة، وتستجيب لكل ألوان الأدب من الجدّ والهزل والحماس والغزل والرثاء، ولم تتخلف اللغة العربية، في وقت من الأوقات، بما فيها من مرونة وطواعية، عن الاستجابة لحاجات الإنسان.

لا يكمن الأمر إذًا في عجز الفصحى، ولا في الحرص على تيسير اللغة للعرب، وليست اللهجات العامية أطوع للإنسان العربي المعاصر في حياته العقلية والأدبية والسياسية والمعاشية من الفصحى، إن لم يكن العكس، وإنما الأمر كله يكمن في محاولة حجب «الفصحى» عن حياة العرب العقلية والأدبية والسياسية واستبدالها بالعامية لتُحجب هذه الأمة عن الاتصال المباشر بمصادر التشريع والفكر والثقافة الإسلامية، وتنقطع عن التاريخ والتراث والماضي وحضارته، وتحرم من الارتواء المباشر من القرآن والحديث، ولكي يسهل بعد ذلك دفع هذه الأمة إلى أحضان الشرق والغرب أو إرجاعها إلى الحضارة الجاهلية الأولى: (الحضارة الفرعونية) و(المجوسية) و(الآشورية) و(الأكادية)... وغيرها[1].

وقد استخدمت لهذا الغرض أدوات ووسائل متعددة، نذكر منها:

أ. الدراسات الأكاديمية للّهجات العامية

وقد استُخدمت، لتحقيق هذه الغاية، مجامع اللغة العربية، وكراسي الدراسات

١. راجع الملحق رقم (٦): مؤامرة استبدال الفصحى باللّهجات المحكية

في الجامعة، وكبريات المجلات العلمية والأدبية في العالم الإسلامي.

يقول أحمد حسن الزيات صاحب مجلتي الرسالة والرواية:

(إن المحافظين من شيوخ الأدب قد سيطروا عليه - مجمع اللغة العربية في القاهرة - في أول نشأته، ثم انتهى زمامه إلى الكتّاب والصحفيين الذين نبّهوا المجمع إلى أهمية العامية وإلى خطورة جمود اللغة بتخلّفها عن مسايرة الزمن)[١].

(وقد نجح أصحاب هذه الدعوات، بوسائلهم المختلفة، في إدخال دراسة ما يسمّونه «الأدب الشعبي» في كل أقسام اللغة العربية بكليات الآداب، وفي كلية اللغة العربية بالأزهر؛ بل نجحوا في إنشاء كرسي لأساتذة هذه المادة في قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة، وأصبحت «دار العلوم» مركز الثقل في هذه الدعوة بعد أن اجتمع فيها أكبر عدد من المختصّين في هذه الدراسة)[٢]، وانبرى عدد من الكتّاب للكتابة بالعامية، وبشكل خاص القصة وبشكل أخص الحوار فيها، ومنهم الدكتور محمد حسين هيكل في قصته المعروفة «زينب»[٣] وغيره من الكتّاب.

وألّف القاضي (ولمور) كتاب «لغة القاهرة»[٤] ووضع له فيه قواعد، واقترح اتخاذها لغة للعلم والأدب، كما اقترح كتابتها بالحروف اللاتينية، وتنبيه الناس للكتابة بها، وأشادت به «المقتطف» وهاجمتها الصحف مشيرة إلى موضع

---

١. نقلا عن محمد محمد حسين، حصوننا مهددة من داخلها، ص١٤١.

٢. المصدر نفسه، ص١٩٠.

٣. راجع الملحق رقم (٧): حول رواية (زَيْنَب)

٤. أصله باللاتينية: (The spoken Arabic of Egypt). (راجع: محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج٢، ص٣٧٦). (من المحقق)

الخطر في هذه الدعوة التي لا تقصد إلاّ إلى محاربة الإسلام في لغته[١].

ب. وضع اليد على المدارس

وعمدوا إلى الدراسة في مختلف مستوياتها، فوضعوا أيديهم على المدارس، وأسسوا مدارس كثيرة في العالم الإسلامـي، ووجّهوا هذه المدارس باتّجاه استئصال الجيل الجديد عن ماضيه وتراثه وتعويمه على السطح.

وتولّى التبشيرُ المسيحي حصّة الأسد من هذه المهمة، إلاّ أنه لم يكن الهدف من ذلك توجيه الجيل إلى المسيحية، وإنما كان الهدف استئصال الجيل عن أصوله وجذوره الحضارية.

وقد شكى المبشّرون، في عدد من المؤتمرات التبشيرية، من إخفاقهم في تحويل المسلمين إلى النصرانية... فـ (قام الأب «زويمر» مقرر المؤتمر يومئذ يقول: إن الخطباء قد أخطأوا أيّما خطأ، وإنه ليس الهدف الحقيقي للتبشير هو إدخال المسلمين في النصرانية، وإنما الهدف هو تحويل المسلمين عن التمسّك بدينهم. وفي ذلك نجحنا نجاحًا باهرًا عن طريق مدارسنا الخاصّة، وعن طريق المدارس الحكومية التي تتبع مناهجنا)[٢].

وقد استطاع الغزاة، في هذه أن يضعوا أيديهم على المدارس ومعاهد التثقيف في بلادنا بمساحة واسعة جدًا.

يقول الجنرال «بيير كيللر» عن المعاهد الفرنسية في لبنان:

(فالتربية الوطنية كانت بكاملها تقريبًا في أيدينا بداية حرب ١٩١٤ - ١٩١٨)[٣].

---

١. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج٢، ص٣٧٦.

٢. محمد قطب، معركة التقاليد، ص١٥٧.

٣. محمد محمد حسين، المصدر السابق، ج٢، ص٢٨٥.

وقد أدرك الغزاة الغربيون أنّ هذه المدارس والكليات والمعاهد هي أفضل السبل لقطع هذا الجيل عن تراثه، وقطع التراث عن هذا الجيل، ثم إشباعه بالفكر الغربي والحضارة الأوروبية.

(وقد عبّر اللورد «لويد» - حين كان مندوبًا ساميًا لبريطانيا في مصر - عن هذه الأهداف تعبيرًا صريحًا واضحًا في خطبته التي ألقاها في كلية «فيكتوريا» بالإسكندرية ١٩٢٦، حين قال:

... فعلينا أن نقوّي كل ما لدينا من وسائل التفاهم المتبادل بين البريطانيين والمصريين... وقد كان هذا التفاهم المتبادل غاية اللورد «كرومر» من تأسيس كلية فكتوريا بوجه عام... وليس من وسيلة لتوطيد هذه الرابطة أفعل من كلية تعلّم الشبّان من مختلف الأجناس)[١].

ثم يقول عن الطلبة: (كل هؤلاء لا يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبّعوا بوجهة النظر البريطانية، بفضل العِشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ)[٢].

لا نريد أن نطيل الوقوف عند هذه النقطة، وبإمكان القارئ أن يرجع إلى كتب مثل: «الغارة على العالم الإسلامي»، و«الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» للدكتور محمد محمد حسين، و«التبشير والاستعمار» للدكتور مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ، ليعرف أبعاد هذه المؤامرة الكبرى على ثقافة هذا الجيل وفكره.

وبعد؛ فهذه نبذة قصيرة عن المحاولات الطويلة والكثيرة التي يقوم بها دعاة التغريب والغزاة الذين دخلوا بلادنا لعزل هذا الجيل عن حضارته وتراثه وماضيه.

---

١. المصدر نفسه، ص٢٨٦. الأفضل إكمال المقطع بالعبارة التالية كما وردت في المصدر ليكون معبرا أكثر: (المبادئ البريطانية العليا). (من المحقق)

٢. المصدر نفسه.

نتائج وإفرازات المؤامرة الكبرى

تتّجه هذه المحاولات جميعًا باتّجاه قضية واحـدة، وهي قطع الجسور الحضارية التي تربط أجيال هذه الأمة بعضها ببعضها الآخر، وتربطها جميعًا بالينابيع الأولى لهذا الدين. وهذه الجسور هي التي تنقل المواريث الحضارية من الأخلاق والفكر من جيل إلى جيل، فإذا انقطعت هذه الجسور، فلن تبقى هناك صلة في الفكر والأخلاق والثقافة بين هذه الأجيال.

وقد عمد الغزاة ودعاة التغريب إلى هذه الجسور، واحدًا بعد آخر، فهدموها أو استولوا عليها، فعمدوا إلى الخط العربي، وحاولوا تغييره إلى الحروف اللاتينية، وعمدوا إلى الفصحى وعملوا على تغييرها إلى اللهجات العامية، وعمدوا إلى المدارس وحاولوا أن يضعوا أيديهم عليها وعلى منهاجها وأساتذتها وكتبها بشكل كامل، وعمدوا إلى احتواء المساجد والحوزات والجامعات الإسلامية، وحاولوا أن يضعوا أيديهم عليها، حتى عاد انتخاب شيخ الأزهر - وهو شيخ الإسلام - لا يتم إلاّ بقرار من رئيس الجمهورية[1].

وعمدوا إلى الأسرة، فسعوا لإفسادها، وأشاعوا الميوعة والتحلّل فيها، وإبطال دورها الأساس في تصدير القِيم والمواريث الحضارية من جيل إلى جيل. وهكذا؛ سعى دعاة التغريب والغزاة إلى سلخ هذا الجيل عن تراثه وحضارته وماضيه بشكل كامل، وتعويمه على السطح، وبتره عن كل أصوله الحضارية.

---

١. جاء في المادة (٥) من القانون (١٠٣) الصادر عن مجلس الشعب المصري لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها: يُختار شيخ الأزهر من بين هيئة مجمع البحوث الإسلامية أو ممن تتوافر فيهم الصفات المشروطة في أعضاء هذه الهيئة، ويعين بقرار من رئيس الجمهورية. وكذلك الأمر في وكيل شيخ الأزهر؛ حيث جاء في المادة (٧) من نفس القانون: يكون للأزهر وكيل يُختار من بين هيئة مجمع البحوث الإسلامية أو ممن تتوافر الصفات المشروطة لأعضاء هذه الهيئة. ويعين بقرار من رئيس الجمهورية.
(من المحقق)

٣. بعث الحضارات الجاهلية من تحت الأنقاض

وبعد؛ فليس السبب في ذلك كله الصراع بين القديم والجديد، كما يحبّ دعاة التجديد والتغريب أن يفسّروا الأمـور، وإنما السرّ في هذه المحاولات والأعمال جميعًا حجب هذا الجيل عن الإسلام بالخصوص، وليس عن القديم والماضي بشكل عام.

والدليل على ذلك أن دعاة «الحداثة» و«التجديد»، بالذات، يمدّون نوعًا آخر من الجسور الحضارية لربط هذا الجيل، عبر الإسلام العظيم، بالجاهليات الأولى؛ في مصر، وفي العراق، وفي إيران، وفي تركيا، وفي الشام، وفي سائر أجزاء العالم الإسلامي.

ولقد كان بالإمكان أن نفهم أنّ طبيعة هذا الصراع قائمة بين القديم والجديد لولا أننا نلتقي عبر دعاة التجديد والتغريب والحداثة بالحضارات الفرعونية في مصر والساسانيّة في إيران والبابلية في العراق والطورانية في تركيا... الخ.

ونرى، بشكل واضح، أنّ هؤلاء يسعون حثيثًا لبعث الحضارة الفرعونية، والهخامنشية، والساسانية، والبابلية، والطورانية في حياة هذه الأمة من جديد، بكل الوسائل الممكنة وفي كل الميادين؛ في الأدب شعرًا ونثرًا، وفي النحت والقصّة والتمثيل والسينما والصحافة والكتب المدرسية، وفي الأزياء والفن المعماري، وفي تسمية الساحات والميادين والشوارع والمحلات والحدائق. وقد استخدم دعاة الحداثة كل الوسائل الممكنة لبعث هذه الحضارات الجاهلية في حياة الأمة من جديد.

أدوات إحياء الحضارات الجاهلية

أ. الفولكلور

ومن هذه الأدوات والوسائل «الفولكلور»، وما أدراك ما الفولكلو؟! وما هو دور الفولكلور في إحياء العلاقات والتقاليد والطقوس والأساطير والخرافات التاريخية الجاهلية وإبرازها؟ وحتى الرقص والغناء والأزياء والأهازيج ممّا كان قائمًا في المجتمعات والأمم الجاهلية قبل عشرات القرون التي أكل عليها الزمان وشرب، وقد كثر عندنا هذا النمط من الدراسات التاريخية للفنون والعادات والتقاليد والطقوس الشعبية (الفولكلور) إلى حدّ الإسفاف والجنون، حتى أصبح أكثر من الهمّ على القلب.

وولـع المسؤولون، عندنا، بشكل ملحوظ بإبراز الفراعنة والملوك الجاهليين في المجتمع الإسلامي في الميادين والساحات والشوارع والمطاعم والكازينوهات ودور السينما، وفي محطات الوقود والمعامل، حتى أصبح من الأمور المألوفة والعادية جدًّا أن تلتقي بشارع «رمسيس»، ومطعم «كوروش»، وسجائر «حمورابي»، وأمثال ذلك في حين اختفى من مجتمعاتنا أسماء «أبي ذر» و«سلمان الفارسي» و«صهيب الرومي» و«عمار بن ياسر» و«مصعب بن عمير» وغيرهم.

يقول جب في كتابه «وجهة الإسلام» بأنه كان من أهم مظاهر التغريب في العالم الإسلامي، تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة، التي يشغلها المسلمون الآن، فمثل هذا الاهتمام موجود في تركيا ومصر واندونيسيا والعراق وإيران[1].

---

١. راجع: هـ. ا. ر. جب، وجهة الإسلام، ص٢٢٢.

ب. الآثار

ومن الأدوات التي استعملها الغزاة، في بعث الحضارات الجاهلية من تحت الأنقاض، ومن تحت طبقات الأرض، إلى حياة الأمة من جديد: الآثار.

لقد اهتمّ دعاة التجديد والتغريب بمسألة الآثار بشكل ملفت للنظر، وبذلت الدول عندنا بالتعاون مع الهيئات الدولية واليونسكو مبالغ طائلة لإقامة المتاحف، وبعث الآثار القديمة للحياة الجاهلية في حلّة قشيبة. وكما أنّ الاهتمام بالفولكلور وإحياء الفنون والعادات الجاهلية لم يكن شيئًا طبيعيًا في حياتنا، كذلك الاهتمام البالغ بالآثار «بهذه الحالة من المبالغة» وصرف المبالغ الطائلة في تجميع الآثار وعرضها لم يكن شيئًا طبيعيًا أبدًا، وعندما نتابع خيوط هذه الأعمال ننتهي إلى جذور صهيونية صليبية. يقول محمد الغزالي:

(وصحِب هذه الدعوة نشاط البعوث الأجنبية في التنقيب عن الآثار والدعاية لما يكتشف منها، فملأوا الدنيا كلامًا عن قبر «توت عنخ آمون» الذي اكتشفه اللورد «كارنافون» وقتذاك، وعرض الثري الأمريكي «روكفلر» تبرّعه بعشرة ملايين من الدولارات لإنشاء متحف الآثار الفرعونية، يلحق به معهد لتخريج المتخصّصين في هذا الفن، و«روكفلر» كما هو معروف، يهودي الأصل وهو من الصهيونيين، وسخاؤه بهذا المبلغ الضخم يدل على ما في هذا الاتجاه من مصلحة ظاهرة للصهيونية)[1].

---

١. محمد الغزالي، حقيقة القومية العربية، ص١٦٦. والنصّ بعينه تقريبًا موجود في كتاب (الإسلام والحضارة الغربية لمحمد محمد حسين) مع اختلاف يسير: (وصحب هذه الدعوة نشاط البعوث الأجنبية في التنقيب عن الآثار والدعاية لما يكتشف منها، فملأوا الدنيا كلامًا عما ظهر منها وقتذاك في مصر والشام والعراق، وكان من أكثر ما طنطنوا به قبر «توت عنخ آمون» الذي اكتشفه اللورد «كارنافون» وقتذاك، ومما لا تخفى دلالته على بصير أنّ الثري الصهيوني «روكفلر» عرض تبرّعه بعشرة ملايين من الدولارات لإنشاء متحف للآثار الفرعونية، يلحق به معهد لتخريج المتخصّصين في هذا الفن. و«روكفلر» كما هو معروف،

وفي العراق، عقدت الدولة مؤتمر «بابل وآشور» سنة (١٩٩١ م)، ودعت لحضوره علماء الآثار من مختلف دول العالم، وقامت بمشروع إحياء مدينة «آشور» في الموصل ومدينة «بابل» في الحلّة. وقد كلّف إحياء مدينة «بابل» ميزانية الدولة (١٢) مليون دينار، كما غيّرت أسماء المدن إلى أسماء تعود لحضارات جاهلية بائدة كالموصل والحلّة إلى «نينوى» و«بابل».

وفي إيـران، توجّه الشاه باتّجاه قطع إيـران بـالإسلام، وربطها بماضيها المجوسي الهخامنشي والساساني، عبر الإسلام العظيم، ومن الأعمال التي قام بها، بهذا الصدد، إلغاء التاريخ الهجري واستبداله بالتاريخ الشاهنشاهي، وحوّل السنة من (١٣٢٠) الهجرية الشمسية، وهي السنة التي تولّى فيها الحكم في إيران، إلى سنة (٢٥٠٠) شمسية شاهنشاهية، وقد أقرّ البرلمان ومجلس الأعيان ذلك في اجتماع مشترك.

وأحيى الشاه ذكرى مرور (٢٥٠٠) سنة على الحضارة المجوسية باحتفالات ضخمة في خرائب «برسبوليس» (تخت جمشيد) بالقرب من شيراز، ودعا إلى هذه الاحتفالات الملوك والرؤساء، وأنفقت الدولة على هذه الاحتفالات (١٠٠) مليون دولار في خياطة الأزياء القديمة وصناعة الحلي والشوارب والعربات القديمة[١].

ويكفي أن نقول إنّ نظام الشاه أعطى لكاتب سيناريو أمريكي (١٠٠) مليون

يهودي الأصل، وهو من غلاة الصهيونيين، وسخاؤه بهذا المبلغ الضخم يدل على ما في هذا الاتجاه من مصلحة ظاهرة للصهيونية). ولم يذكر المؤلف أنه مقتبس، مما يوحي أنه تأليفه. راجع: محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، ص٢٣٧. وكذلك محمد الغزالي لم يذكر ما يشير إلى أنه مقتبس... فلا يُعلم هل أنّ أحدهما اقتبس عن الآخر أو أنهما اقتبساه من مصدر ثالث؟!
(من المحقق)

١. جلال الدين مدنى، تاريخ سياسى معاصر ايران، ج٢، ص٢٣٣.

تومان[1] لإعداد فيلم «كوروش الكبير» لعرضه في الدول الأوروبية[2].

والشواهد على اتجاه بعث الحضارات الجاهلية في العالم الإسلامي، بمختلف الوسائل، كثيرة.

والحاصل أنّ الهدف من الصراع بين القديم والجديد، ليس الانفتاح على العلم والتصنيع المتطوّر في الغرب، وإنما كان الغرض من هذه المحاولات والمؤامرات جميعًا قطع هذا الجيل عن ماضيه وحضارته وجذوره الحضارية، وتفريغه من محتواه الحضاري والتاريخي وتعويمه.

في الخطوة الأولى توجّه الغزاة إلى الدعوة إلى انسلاخ هذه الأمة عن حضارتها وماضيها، وفي الخطوة الثانية تبنّى الغزاة الدعوة إلى مسخ هذا الجيل حضاريًا بربطه بالحضارات الجاهلية البائدة، وإحياء وبعث هذه الحضارات من جديد، وإخراجها من تحت ركام الأنقاض والقرون، وقد بُذلت الأموال الطائلة والإمكانات الكبيرة، لتمرير هذه المؤامرة على هذه الأمة وبترها واجتثاثها من حضارتها وتراثها، والقيام بعملية ترقيعية مخجلة في مدّ الجسور بين هذا الجيل وحضارة الفراعنة والمجوس والأكاسرة والبابليين والآشوريين والطورانيين و...

وإنّ الإنسان ليعجب ويأسف أن تمرّ هذه المؤامرة المخجلة على هذه الأمة في وضح النهار، وتقوم بمسخ عقليتها ونهب تراثها وحضارتها مدّة طويلة من الزمان من دون مقاومة تذكر، حتى شاء الله تعالى إيقاظها من رقدتها الطويلة وتنبيهها إلى الأخطار المحدقة بها.

---

١. وهو مبلغ ضخم وكبير جدًا بالنسبة إلى القيمة المالية للتومان في ذلك الحين. (من المحقق)

٢. أحمد وُدي، تاريخ نيم قرن جنايت، ص ١٨٠.

الملحقات

الملحق (١): تطويـع العرب في اللعبة الاستعمارية

لقد عمل الأوروبيون، وعلى رأسهم إنجلترا، لإسقاط الدولة العثمانية على الجبهتين (الداخلية والخارجية). أما على صعيد الجبهة الداخلية، فقد عمد الإنجليز واليهود على تجنيد ودعم وتقوية الشخصيات المهمة ذات النفوذ في الدولة والتي كان لها ميول نحو الغرب وسياسته؛ مثل (مدحت باشا) الصدر الأعظم للدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وكذلك دعم الحركات الانفصالية التي كانت تسعى لإسقاط الدولة العثمانية وإقامة دولة علمانية خاصة بالأتراك محلها؛ مثل جماعة (تركيا الفتاة)، وقد لعبت هذه الجماعة دورًا كبيرًا في تضعيف الدولة العثمانية وتهيئة الظروف لإسقاطها، فقد استطاعت النفوذ في مفاصل الدولة لاسيما الجيش، وتمكنت في نهاية المطاف من خلع السلطان (عبد الحميد الثاني).

أما على صعيد الجبهة الخارجية؛ فقد عمل الإنجليز على تغذية العنصرية والنعرات القومية بين (العرب والأتراك)، وحرّكوا العرب ضد الأتراك للحصول

على استقلالهم من سلطة الدولة العثمانية، فجنّدوا لهذا الغرض (الشريف حسين) في الحجاز لإعلان الثورة العربية ضد الدولة العثمانية على أن يُسمح له بتأسيس دولة الخلافة في الجزيرة وبلاد الشام. فأعلن الثورة من مكة على الأتراك سنة (١٩١٦)، وأمدّه الإنجليز بالسلاح، ولُقّب بـ (الملك المنقذ)، وأوكل إلى ابنه (فيصل) مهمة التوجه إلى سوريا مع الجيش البريطاني. وأعطاه الإنجليز بعد ذلك إمارة شرقي الأردن، وأقاموا ابنه فيصل ملكًا على العراق، وعندما حانت له الفرصة ليعلن الخلافة في الجزيرة العربية وبلاد الشام كما وعده الإنجليز، تفاجأ بخيانة الإنجليز وتنصّلهم من وعودهم وتحريضهم لعبد العزيز بن سعود لإخراجه من الحجاز، وبالفعل انهزم أمامه وفرّ إلى الأردن ليقيم هناك إلى آخر حياته.

وهكذا تم تفكيك الدولة العثمانية وتولي (مصطفى كمال أتاتورك) القيادة بدعم من الإنجليز أنفسهم، ليعلن بعدها قيام الجمهورية التركية وإلغاء الخلافة. ومن هنا بدأت قصة العلمانية في تركيا، ومن ثم انتقلت العدوى إلى البلاد العربية.

وسوف يأتي منّا التفصيل أكثر حول الأحداث المتصلة بهذه الحقبة في الملحقات التالية، لِما تمخضت عنه هذه التدخلات الاستعمارية السافرة في المنطقة من نتائج سلبية إلى الآن نعيش تداعياتها ومآسيها، ولم يكن العرب فيها على قدر المسؤولية؛ بل كانوا جزءًا من أحداثها، ولابد أن يتذكرها الرأي العام دائمًا لكيلا ننسى...

الملحق (٢): اتفاقية سايكس بيكو (الخلفيات والنتائج)

قبل أكثر من قرن من الآن، تم التآمر على العرب وتقسيم العالم العربي إلى دويلات، وذلك فيما يسمى بـ (اتفاقية سايكس بيكو)، التي وقّعت في ١٦ مايو/ أيار ١٩١٦م، وهي عبارة عن اتفاقية لاقتسام الدول العربية الواقعة شرقي المتوسط والواقعة ضمن أملاك الخلافة العثمانية، في إطار تقسيم أراضي الإمبراطورية العثمانية التي كانت توصف بـ «الرجل المريض».. وكانت هذه الاتفاقية عبارة عن تفاهم سري بين فرنسا والمملكة المتحدة (بريطانيا العظمى) بمصادقة من الإمبراطورية الروسية على اقتسام الأراضي العربية بين فرنسا وبريطانيا لتحديد مناطق النفوذ في غرب آسيا، بعد تهاوي الإمبراطورية العثمانية المسيطرة على هذه المنطقة، في الحرب العالمية الأولى.

تم الوصول إلى هذه الاتفاقية بين نوفمبر من عام ١٩١٥ ومايو من عام ١٩١٦ بمفاوضات سرية بين الدبلوماسي الفرنسي فرانسوا جورج بيكو والبريطاني مارك سايكس، وكانت على صورة تبادل وثائق تفاهم بين وزارات خارجية فرنسا وبريطانيا وروسيا القيصرية آنذاك. تم الكشف عن الاتفاق بوصول الشيوعيين إلى سدة الحكم في روسيا عام ١٩١٧.

تم تقسيم الهلال الخصيب بموجب الاتفاق، وحصلت فرنسا على الجزء الأكبر من الجناح الغربي من الهلال (سوريا ولبنان) ومنطقة الموصل في العراق. أما بريطانيا فامتدت مناطق سيطرتها من طرف بلاد الشام الجنوبي متوسعًا بالاتجاه شرقًا لتضم بغداد والبصرة وجميع المناطق الواقعة بين الخليج الفارسي والمنطقة الفرنسية في سوريا. كما تقرر أن تقع فلسطين تحت إدارة دولية يتم الاتفاق عليها بالتشاور بين بريطانيا وفرنسا وروسيا، ولكن الاتفاق نصّ على منح بريطانيا ميناءَي (حيفا وعكا) على أن يكون لفرنسا حرية استخدام ميناء حيفا، ومنحت فرنسا لبريطانيا بالمقابل استخدام ميناء الإسكندرونة الذي

كان سيقع في حوزتها.

وقد تم التأكيد على محتوى اتفاقية (سايكس-بيكو) مجددًا في مؤتمر (سان ريمو) عام ١٩٢٠. بعدها، أقر مجلس عصبة الأمم وثائق الانتداب على المناطق المعنية في ٢٤ حزيران ١٩٢٢. لإرضاء أتاتورك واستكمالًا لمخطط تقسيم وإضعاف سوريا، عقدت في ١٩٢٣ اتفاقية جديدة عرفت باسم (معاهدة لوزان لتعديل الحدود). تم بموجب معاهدة لوزان التنازل عن الأقاليم السورية الشمالية لتركيا الأتاتوركية إضافة إلى بعض المناطق التي كانت قد أعطيت لليونان في المعاهدة السابقة.

وكانت بريطانيا قد وعدت العرب بقيادة الشريف حسين، الذي حرّضته على الثورة على الدولة العثمانية، بدولة عربية مستقلة ذات سيادة بقيادة الشريف حسين نفسه كما بيّنا أعلاه، لكن البريطانيين أخلفوا بوعودهم، وأعطوا الشريف حسين وابنه فيصل بعض الفُتات من الحكم بعد أن استغلوهما في تحقيق مآربهم في القضاء على الدولة العثمانية وتمزيق العالم العربي، وانتهى به الأمر إلى النفي.

قسمت هذه الاتفاقية وما تبعها سوريا الكبرى (الطبيعية) أو المشرق العربي إلى دول وكيانات سياسية كرّست الحدود المرسومة بموجب هذه الاتفاقية والاتفاقيات الناجمة عنها، وأصبحت الحدود المرسومة أمرا واقعا فتت العالم العربي إلى كيانات، على النحو التالي:

- العراق، استقل عام ١٩٣٢.
- منطقة الانتداب الفرنسي على سوريا:
- سوريا الحالية، استقلت فعليًا عام ١٩٤٦.
- لبنان، استقل ككيان مستقل عام ١٩٤٣.

- الأقاليم السورية الشمالية ضُمت لتركيا
- منطقة الانتداب البريطاني على فلسطين:
- الأردن، استقل ككيان مستقل عام ١٩٤٦.

انسحبت بريطانيا من شبه الجزيرة العربية في الستينات والسبعينات، فقد انسحبت من الكويت عام (١٩٦٥)، ومن محمية عدن عام (١٩٦٧)، ومن مسقط وعمان (١٩٧٠)، ومن قطر والإمارات والبحرين (١٩٧٢).

فلسطين، انتهى مفعول صك انتداب عصبة الأمم على فلسطين يوم ١٤ أيار ١٩٤٨، وجلى البريطانيون عنها، لكن في اليوم التالي أعلن قيام إسرائيل فوق أجزاء كبيرة من حدود الانتداب البريطاني على فلسطين، وبدأ الصراع العربي الإسرائيلي؛ حيث في ١٩٤٩ (إثر حرب ١٩٤٨ وبعد إلغاء الانتداب البريطاني)، قسمت فلسطين إلى ثلاث وحدات سياسية: إسرائيل والضفة الغربية وقطاع غزة.

وما زالت دول الاستكبار العالمي، وعلى رأسها أمريكا، إلى الآن تسعى إلى تقسيم هذه الدول العربية المقسمة بالأصل إلى دويلات أصغر فأصغر، وجعل الحدود بينها لتضعيفها، وبذلك تسعى لتحقيق سايكس بيكو جديد كلما سنحت الفرصة، وأيضًا - كما في كل مرة - تحت غطاء عربي[1].

---

١. لمزيد من المعلومات راجع:
- أحمد زعيتري، اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦ م.
- بسام عبد القادر النعماني، الوطن العربي بعد ١٠٠ عام على اتفاقية سايكس-بيكو: قراءة في الخرائط، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٤ سبتمبر ٢٠٢٠.
- موسوعة عارف، اتفاقية سايكس بيكو، ١٤ سبتمبر ٢٠١١، على الرابط:
- فتحي خطاب، «سايكس - بيكو».. قصة «تقسيم الكعكة» وترسيم حدود الوطن العربي، قناة الغد، ١٦ مايو ٢٠٢٣.

الملحق (٣): وعد بلفور المشؤوم ودور الحكام العرب في تعزيزه

جاء الوعد على شكل تصريح موجّه من قبل وزير خارجية بريطانيا آنذاك (آرثر جيمس بلفور) في حكومة ديفيد لويد جورج، في الثاني من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٧، إلى اللورد (روتشيلد) أحد زعماء الحركة الصهيونية العالمية، وذلك بعد مفاوضات استمرت ثلاث سنوات دارت بين الحكومة البريطانية من جهة، واليهود البريطانيين والمنظمة الصهيونية العالمية من جهة أخرى.

استطاع من خلالها الصهاينة إقناع البريطانيين بقدرتهم على تحقيق أهداف بريطانيا، والحفاظ على مصالحها في المنطقة.

إلا أن البعض يقول إن الكتلة الصهيونية التي كانت موجودة في بريطانيا لم تكن بذلك الحجم وتلك القوة لتشكل قوة ضاغطة على بريطانيا لتوافق على وعد بلفور، فالتواجد اليهودي كان في ألمانيا أقوى. وعليه؛ فإن هذه الاتفاقية تكون اجتهادًا من بريطانيا لتحقيق مصالحها في الشرق عن طريق اليهود.

وبكل الأحوال؛ يعد الوعد المعروف في الأدبيات السياسية والتاريخية بوعد «من لا يملك لمن لا يستحق»، نقطة الانطلاقة الرئيسية للقضية الفلسطينية والذي نتج عنه فيما بعد الاحتلال الإسرائيلي.

ونصَّ وعد بلفور على ما يلي:

وزارة الخارجية ٢ نوفمبر ١٩١٧

عزيزي اللورد روتشيلد

يسرني جدًا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة صاحب الجلالة التصريح التالي، الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود والصهيونية، وقد عُرض على الوزارة وأقرته: إنّ حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي

للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يكون مفهومًا بشكل واضح أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى. وسأكون ممتنًا إذا ما أحطتم اتحاد الهيئات الصهيونية علمًا بهذا التصريح.

المخلِص: آرثر بلفور

وقد كان للثورة العربية، بقيادة الشريف حسين وابنه الأمير فيصل ضد الدولة العثمانية، دورًا محوريًا وكبيرًا ومكملًا لقيام وعد بلفور؛ حيث مهّدت هذه الثورة لحصول اتفاقية سايكس بيكو وتقسيم العالم العربي كما مرّ في التعليق السابق، فقد وضعت بريطانيا يدها على فلسطين ثم أبقتها تحت الانتداب، مما سهل لها تسليم فلسطين لليهود وتطبيق وعد بلفور. وعليه؛ كان احتلال فلسطين مقدمة لمنحها هبة لليهود، ومن يقرأ الأحداث جيدًا من حين السعي لإسقاط الدولة العثمانية إلى حين حصول اتفاقية سايكس بيكو، يجد الإشارات الكثيرة التي تؤكد حضور اليهود بشكل واضح وفعال في هذه الأحداث، وأنّ هناك شيئًا ما كان يُحضّر له؛ بل إنّ اليهود كانوا الضلع الأساسي في اتفاقية سايكس بيكو، فكان الوعد المشؤوم الذي أعدّت له بريطانيا واليهود كل العدة.

اتفاقية (فيصل - وايزمان) تتويج لوعد بلفور

ثم جاءت اتفاقية (فيصل - وايزمان)، التي عُقدت بين (حاييم وايزمان) رئيس المنظمة الصهيونية وبين (الأمير فيصل الأول بن حسين)، في لندن بتاريخ (٣ كانون الثاني/ يناير، عام ١٩١٩)، لتمثّل اعترافًا وقبولًا عربيًا رسميًا بوعد بلفور، وتكريسًا لكل ما جاء فيه، وتعتبر إقرارًا عربيا واضحا بحق اليهود في فلسطين؛ بل ودعوة لليهود للهجرة إلى فلسطين، وتوضّح هذه الاتفاقية إلى أي مدى ساهم دعاة الدولة العربية في ضياع فلسطين، وتبرز تواطؤهم مع اليهود

والإنجليز. وقد جاء في المادة الثانية من هذه الاتفاقية الإقرار بفصل فلسطين عن الدولة العربية المزعوم إنشاؤها بوعد من الإنجليز، وأن يكون لفلسطين حدودها المستقلة.

وفي المادة الثالثة التأكيد على تطبيق وعد بلفور الذي أقرته الحكومة البريطانية في وقت سابق، عند صياغة دستور الدولة الفلسطينية.

والأهم من ذلك كله هو ما جاء في المادة الرابعة، وهذا نصّه:

(يجب أن تُتخذ كل الإجـراءات التي من شأنها أن تحفّز وتشجع الهجرة اليهودية إلى فلسطين بأعداد كبيرة وبأسرع وقت ممكن، لتوطين المهاجرين على شكل مستوطنات متقاربة وزراعة مكثفة للتربة. وعند اتخاذ هذه الإجراءات يجب حماية حقوق الفلاحين العرب والمزارعين المستأجرين للأرض).

وقد نُفذّت هذه الاتفاقية وتحقق الوعد البريطاني لليهود، وأصبحت فلسطين الوطن البديل لليهود في هذا العالم الذي لم يستطع تحمّل وجود اليهود على أراضيه، فطردهم للتخلص منهم، ولتحقيق مآرب أخرى أشرنا إليها أعلاه لا يتسع المقام لذكرها تفصيلًا، لكن في المقابل لم تنفذ بريطانيا وعودها للعرب في إقامة دولة عربية موحدة؛ بل مزقتها كل ممزق، ثم أخلت الساحة لحلفائها الأمريكان ليمزقوها أكثر فأكثر يوما بعد يوم، وأيضًا بمساعدة ودعم عملائها من الحكام والمثقفين[1].

١. لمزيد من المعلومات راجع:
- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ص١٧ - ٤١.
- ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية - جذورها في التاريخ الغربي، ص١٧٠ - ١٧١ و١٦٦.
- عباس محمود العقاد، الصهيونية العالمية، ص٤٥.
- قادة دين، دوافع صدور وعد بلفور، العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال أفريقيا، المجلد الأول، العدد: ١، ٢٠١٨ م.
- رائد أحمد هياجنة، اتفاقية فيصل - وايزمن ١٩١٩؛ ظروفها وعوامل توقيعها (دراسة

الملحق (٤): المؤلّف الحقيقي لكتاب (حاضر العالم الإسلامي)

في الحقيقة، هذا الكتاب هو أصالةً للباحث الأمريكي (لوثروب ستودارد)، وهو بعنوان (The New World of Islam)، يستعرض فيه موجزًا عن تاريخ الإسلام من زمن النبي ﷺ إلى الحرب العالمية الأولى، وأسباب انحطاط المسلمين تارة، وأسباب نهضتهم تارة أخرى، ويدّعي أنّ النزاع السياسي على الخلافة واستيلاء العثمانيين عليها هو سبب انحطاط المسلمين سياسيًا، وفي المقابل يدّعي أنّ ظهور الحركة الوهابية كان سببًا في النهضة الإسلامية بعد رقاد طويل. وقد تمت ترجمة هذا الكتاب إلى العربية على يد (عجاج نويهض)، فكان العنوان (حاضر العالم الإسلامي). أما علاقة الأمير شكيب أرسلان الملقب بـ (أمير البيان) بهذا الكتاب، فهي أنّ المترجم نويهض طلب من أرسلان أن يكتب تعليقًا على هذا الكتاب، فوافق الأخير على ذلك، لكنه استرسل في كتابة هذا التعليق وتوسع فيه وألحق بحوثًا بحيث جاوز هذا التعليق حجم الكتاب الأصل، ومَن يطالع هذا الكتاب سوف يلحظ حجم هذا التوسع والاسترسال؛ لأنه سوف يبحث عن عبارة الكاتب الأصلي (لوثروب ستودارد) بين تعليقات (شكيب أرسلان) لا العكس؛ حيث لم يتم فصل التعليقات عن المتن الأصلي لأسباب يذكرها المترجم في مقدمة الطبعة الثالثة، لكن الذي يسهل أمر مطالعة هذا الكتاب إلى حدّ ما أنه عندما يبدأ أرسلان بالتعليق يشار إلى ذلك.

وقد توسع فيه أرسلان مرتين: مرة قبل الطبعة الأولى التي صدرت عام (١٩٢٥)

تاريخية تحليلية)، المجلد: ٨، العدد: ج٢، ص١٠٨٧ - ١١١٩.

- روتشيلد جاكوب، شهادة حية، تقرير مصور عن وعد بلفور ووثائقه وأحداثه على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=tk8g9GlliuQ
- وثيقة معاهدة (فيصل - وايزمان)، منشورة على الرابط: http://www.eretzyisroel.org/~samuel/feisal1.html
- محمد السماك، وعد بلفور القصة الكاملة، موقع أساس ميديا، ٣ تشرين الثاني ٢٠٢٣.

في جزأين، والمرة الثانية قبل الطبعة الثانية التي صدرت عام (١٩٣١) في أربعة أجزاء. وسبب هذا التوسع والإضافات بين الطبعة الأولى والثانية هو الأحداث السياسية المستجدة على أرض الواقع والمستجدات الطارئة على المنطقة، بالإضافة إلى بعض الظروف والموانع الخاصة بأرسلان التي منعته من بعض الإضافات في الطبعة الأولى، فرُفعت تلك الموانع في تلك الفترة وأتيحت له الفرصة للكتابة والتوسع أكثر في الطبعة الثانية. وقد ذاع سيط هذا الكتاب في العالم العربي في حينها بحيث أصبح الكتاب مرجعًا أساسيًا وموسوعة علمية يرجع إليها من يريد أن يبحث في التاريخ الإسلامي في حقبة ما بعد الحرب العالمية الأولى؛ حيث يعتبر مصدرًا هاما للاطلاع على حال العالم الإسلامي سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا في تلك الحقبة. وقد ترجم الكتاب إلى لغات أخرى متعددة؛ كالتركية والألمانية والفرنسية[١].

هذا. وقد قدمنا هذا التوضيح حول الكتاب لكي لا يختلط الأمر على القارئ العزيز كون الكتاب في الأصل ليس لأرسلان نفسه، ولنقول إنه بما أنّ الشيخ الآصفي ﷺ اقتبس عبارته في المتن أعلاه من تعليق الأمير أرسلان على الكتاب، فإننا سوف نذكر في التوثيق في محله اسم (شكيب أرسلان) بدلًا من اسم الكاتب الأصلي للكتاب؛ نظرًا إلى أنّ تعليقات أرسلان داخلة كجزء من نصّ الكتاب كما تقدم، فكأنّ المؤلف للكتاب شخصان: (لوثروب ستودارد) و(شكيب أرسلان). فتنبّه يرعاك الله.

١. للاطلاع أكثر راجع: مقدمة الطبعة الأولى والثانية لنفس المعلق «الأمير شكيب أرسلان»، ومقدمة الطبعة الثالثة للمترجم «عجاج نويهض»، من كتاب «حاضر العالم الإسلامي».

الملحق (٥): مَن أحرق مكتبة الإسكندرية؟

يُروى أن مَن قام بإحراق مكتبة الإسكندرية الضخمة والتاريخية هو عمرو بن العاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب؛ حيث قال عمر بن الخطاب في جواب له على رسالة كان قد أرسلها إليه عمرو بن العاص بعد فتح الإسكندرية: (وأما الكتب التي ذكرتها: فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله، ففي كتاب الله عنه غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليه، فتقدّم بإعدامها!). فشرع عمرو بتفريقها على حمّامات الإسكندرية لإحراقها في مواقدها! فاستنفدت في ستة أشهر!

إلا أنه انبرى كثير من المنظرين من أهل السنة والجماعة إلى إزاحة هذه الجناية عن عاتق الخليفة وقائده، وكُتبت في ذلك مصنفات ومؤلفات، وممن ذهب إلى نفي أن يكون الخليفة عمر قد فعل ذلك وفنّده من الشيعة العلامة الشهيد مرتضى مطهري، إلا أن العلامة الأميني قد أيد هذه الحادثة في موسوعته المعروفة (الغدير)، ومما قاله في ذلك استنكارًا لهذا الفعل: (اللَّه يعلم ما خسره المسلمون بإبادة تلك الثروة العلميّة في الإسكندريّة وتشتيت ما في بلاد الفرس من حضارة راقية، وصنائع مستطرفة لا ترتبطان بهدى أو ضلال كما حسبه الخليفة في كتب الفرس، ولا تناطان بموافقة الكتاب أو مخالفته كما زعمه في أمر مكتبة الإسكندرية العامرة، وما كان يضرّ المسلمين لو حصلوا على ذلك الثراء العلمي؟ فأوقفهم على ثروة ماليّة، وبسطة في العلم، وتقدّم في المدنيّة، ورقيّ في العمران، وكمال في الصحّة، وكلّ منها يستتبع قوّةً في الملك، وهيبةً عند الدول، وبذخًا في العالم كلّه، وسعةً في أديم السلطة، فهل يفتّ شيء من ذلك في عضد الهدى؟ أو يثلم جانبًا من الدين؟ نعم؛ أعقب ذلك العمل الممقوت تقهقرًا في العلوم، وفقرًا في الدنيا، وسمعةً سيّئةً لحقت العروبة والإسلام، وفي النقّاد من يحسبه توحّشًا، وفيهم من يعدّه من عمل الجاهلين، ونحن نكِل الحكم فيه إلى العقل السليم، والمنطق الصحيح.

على أنّ الخليفة كان يسعه أن ينتقي من هذه الكتب ما أوعزنا إليه ممّا ينجع المجتمع البشري، ويتلف ما فيه الإلحاد والضلال، لكنّه لم يفعل ومضى التاريخ كما وقعت القصّة).

وقد أيّد ذلك أيضا صاحب الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام بأن ديدن حكام الجور عبر التاريخ هو الإحراق قائلا: (ولا يفوتنا أن ننبّه على أنّ حكام الجور كانوا قد اتخذوا الحرق أسلوبًا يكاد يكون مطّردا في حياتهم، فقد أحرق أبو بكر الفجاءة بالنار، ثم ندم في آخر حياته أشد الندم، كما وضع خالد بن الوليد رأس مالك بن نويرة تحت القدر وجعله أثفية لها، كما أحرق الخليفة عمر أحاديث النبي صلّى الله عليه واله ومدوّنات الصحابة، وأحرق عمرو بن العاص مكتبة الإسكندرية، وأحرق عثمان بن عفان المصاحف، وأمر معاوية بحرق محمد بن أبي بكر، فألقي في جلد حمار وأحرق)[1].

١. لمزيد من المعلومات راجع:
- العلامة الأميني، الغدير في القرآن والسنة والأدب، ج٦، ٤٢٧.
- جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ج١، ص٦١.
- محمد أبو شبهة، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ج١، ص٢٤٣.
- محمد هادي الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٤، هامش: ص٢٦٢ - ٢٦٤.
- إسماعيل أنصاري، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام، ج١٠، ص٢١٤.
- غالب حسن شابندر، ليس من سيرة الرسول الكريم، ص٢٥٣.
- منير بعلبكي، حياة محمد وسيرته، ص٢٠.

الملحق (٦): مؤامرة استبدال الفصحى باللّهجات المحكية

إذا أخذنا مشروع استبدال الفصحى باللهجات المحلية واللغة المحكية بقليل من التحليل المنطقي والموضوعي، فسنجد أنه يعاني من مشاكل وتساؤلات كثيرة، وسوف يعقّد الأمور أكثر، ولن يحقق الغرض الذي يدّعونه وهو التسهيل في التعامل؛ بل هو أمر شبه مستحيل.

ومن هذه المشاكل أنه لابد من وضع لغة جديدة وقواعد جديدة لا علاقة لها باللغة العربية الفصحى؛ لأنه من المفترض وبحسب رأيهم أنّ الفصحى أصبحت قديمة وبالية، وبالتالي سوف تصبح اللغة العربية أجنبية مثلها مثل اللغات الأجنبية الأخرى، ومع تقدم الأيام تخلق أجيال لا تعرف شيئا من اللغة العربية، وحتى تفهمها لابد من تعلّمها من خلال دورات مثلهم مثل باقي الأجانب.

ومنها أننا نسأل هنا أنّ هذه اللهجات موحدة بين جميع العرب أم لكل بلد لهجته؟ أما توحيد اللهجات، فهو أمر دونه خرط القتاد والواقع شاهد على ذلك، فكم لدينا من لجهات محلية!!! بل لكل بلد لهات مختلفة تختلف من مدينة إلى أخرى، ومن قرية إلى أخرى، ومن حيّ إلى آخر. وأما أن تكون مختلفة، فسوف تكون هناك مشكلة في تواصل أصحاب اللهجات المختلفة مع بعضهم البعض، وسوف تكون هناك مشكلة في الفهم، فهناك لهجات لا متناهية اليوم بين العرب، وكل واحدة مختلفة عن الأخرى اختلافا شاسعًا، وبعيدة كل البعد عن اللغة العربية الفصحى، وهذا يسبب مشكلة في فهم وإدراك هذه اللهجة ممن لا يعرفها ولم يمارسها، وبالتالي مشكلة في توحيد الفهم، وقد عايّنا ذلك وعشناه على أرض الواقع في بلاد الغربة؛ حيث يجتمع الناس من بلدان مختلفة، وكلٌّ يتحدث بلهجته الخاصة، وهناك اصطلاحات كثيرة خاصة بكل لجهة لا يفهمها إلا من مارسها وعاش معها، وبالتالي يضطر من لا يعرفها إلى أن يسأل عن معاني هذه الاصطلاحات، وفي بعض الأحيان يضطر صاحب اللهجة

الصعبة (السوري) مثلا أن يتحدث بلهجة الطرف الآخر (العراقي) مثلا حتى يُفهمه مقصوده، أو بالعكس، وفي ذلك تكلّف وحرج، وهكذا باقي اللهجات... بل قد يتعرض الإنسان إلى الحرج وتمسخر واستهزاء الآخرين... فمن أين كان لنا أن نعرف مثلا أن (الجوتي) باللهجة البحرانية هو (الحذاء) أو أن (الكبوس) هو (القبعة أو القلنسوة)؟!!! لولا أننا تعاملنا مع الجالية البحرانية وسألناهم عن ذلك أو فهمنا المقصود من خلال السياق أو الإشارة الحسية، ومن أين للآخرين أن يعرفوا أن لفظ (هَلّأ أو هَلّق) مثلا باللهجة السورية واللبنانية تعني (الآن) وأن (آل فلان) في بعض اللهجات السورية واللبنانية يعني (قال فلان) وأن (بوط أو صبّاط أو كلاش أو شحّاط) تعني (حذاء) أو أن (طاقية أو طائية) بمعنى (قبعة أو قلنسوة)؟!!!

وتصعب اللهجات كلما اتجهنا إلى القارة الأفريقية وبلاد المغرب العربي؛ مثل تونس والجزائر ومراكش؛ حيث إن لغتهم مزيج من العربية والفرنسية والإنجليزية وغيرهما، فالمغاربة يفهمون على بعضهم، بينما سكان البلدان الأخرى في الوطن العربي مثل سوريا ولبنان والعراق ودول الخليج لا يستطيعون فَهم ولو نسبة بسيطة من كلامهم عندما يتحدثون... وعليه؛ تصوّرْ أنّ هذه اللهجات صارت رسمية وألغي التعامل باللغة العربية، فإن ذلك سوف يسبب حرجًا كبيرًا جدًا في الفهم والتعامل اليومي بين العرب، كما أنه يحتاج إلى تأليف معاجم وقواميس جديدة لكل لهجة كما يفعل البعض الآن ليفسر المقصود من الاصطلاحات الغريبة في لهجة بلده، وسوف يكون عددها أكثر بكثير من المعاجم والقواميس التي أُلّفت لبيان معاني مصطلحات اللغة العربية الفصحى، لأن اللغة العربية الواحدة والموحدة يوجد لها هذا العدد الهائل من المعاجم والقواميس، ويستغرق الباحث الوقت الطويل لمراجعة معنى لفظ معين، فكيف إذا كان لدينا هذا الكمّ الهائل واللامتناهي من اللهجات التي تحتاج إلى عدد لا متناهٍ من المعاجم والقواميس، وتصوّرْ أيضًا أنّ الباحث الذي

يريد أن يكتب حول موضوع ما يحتاج أن يراجع معاني اصطلاحاته بلهجات مختلفة؛ لأنه سوف يعتمد في بحثه على مصادر كتبت بلهجات مختلفة بحسب الفرض... وهذا نقض للغرض.

قدّمنا هذا البيان لنقول إنّ خلق هذه الذرائع من قبل هؤلاء والتلطّي خلفها إنما لتكون غطاء لما وراءهـا من مؤامرة؛ وهي القضاء على اللغة العربية الفصحى التي هي لغة الإسلام والقرآن، وسَوق المسلمين مثل القطعان نحو ما يسمونه (الحضارة الغربية) والابتعاد عن حضارتهم.

علمًا أنّ هذه المؤامرة قد نجحت إلى حدٍّ كبير؛ حيث من الواضح أنّ اللهجات المحكية حلّت محل اللغة العربية الفصحى في حياتنا اليومية إلى درجة أنّ من يتكلم بالفصحى يُستهزأ به ويكون موضعًا للسخرية، ويتمّ الآن الـترويج لذلك عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فقد رأيت بنفسي مقطعًا تم تصويره في إحدى الدول العربية وتم نشره على مواقع التواصل الاجتماعي، يُظهر هذا المقطع أنّ شابًا جرّب أن يتعامل مع الناس في الشارع والأسواق باللغة العربية الفصحى ليرى ردّة فعلهم! والأمر الذي لم يكن مفاجئًا أنه واجَه كيلًا من الشتائم والاستهزاء والسخرية والطرد... لم تعد الناس تتقبل الفصحى، وتجدها أمرًا ثقيلًا ومستهجنًا ونشازًا على الأُذُن.

ومن نتائج هذه المؤامرة أيضًا أننا لو قمنا بإحصائية لدرجات طلاب مدارس الدول العربية في الأدب العربي بمختلف أنواعه وعلى مختلف المستويات الدراسية، فسوف نجد أنها متدنية جدًا نسبة إلى باقي المواد الدراسية إن لم نقل هي الأدنى، وربما أكبر نسبة الرسوب بين الطلاب ترجع إلى مادة اللغة العربية، ولو تسأل الطالب ما هي المادة التي تكرهها في الدراسة؟ فسوف يجيبك (اللغة العربية)! ومما ساعد على الوصول إلى هذه الكارثة هو ما تحدثنا عنه وما تحدث عنه الشيخ الآصفي ﷺ من السيطرة على المدارس ومناهجها من قبل المتغرّبين

وإهمال الكادر التعليمي لهذه اللغة العريقة حتى من قبل أولئك الذين يُدرّسون مادة اللغة العربية وفروعا، فتوجّه الطالب إلى الاهتمام باللغات الأجنبية الأخرى؛ حيث يجد في تعلّمها وممارستها نوعًا من التطور والحضارة بخلاف تعلّم اللغة العربية الفصحى وقواعدها فإنه نوع من التخلّف والرجعية.

اليوم؛ إذا أراد الإنسان العربي أن يتكلم بالفصحى يجد صعوبة بالغة في ذلك، وإذا تكلم فإن الكلمات تخرج ملحونة ومكسّرة، وإذا أراد المسلم العربي أن يقرأ القرآن، فإنه يقرأه ملحونًا وغير صحيح، ولضعفه في اللغة العربية وأدبياتها لا يفهم مما يقرأه شيئًا، وإنما هي مجرد ألفاظ تخرج من حنجرته كالببغاء.

لذلك؛ عندما تقول للمسلم العربي إنّ إعجاز القرآن في لغته العربية الفصحى وتحديه الآخرين على الإتيان بمثله، فإنه لا يفهم معنى وحقيقة ذلك؛ لأنه لا يعرف حقيقة اللغة العربية وقوتها وعظمتها حتى يفهم معنى الإعجاز، وإنما يأخذ بذلك ويسلّم به لأنه ورثه أبًا عن جدّ. بخلاف العرب الأقحاح الذين كانوا زمن نزول الوحي على النبي الأكرم ﷺ؛ حيث لمعرفتهم الحقيقة باللغة العربية وفصاحتها وكونهم يتكلمون بها على السليقة، فقد فهموا إعجاز القرآن على حقيقته وفهموا مضامينه ومعانيه، لذلك لم يستطيعوا أن يأتوا بمثله.

الملحق (٧): حول رواية (زَيْنَب)

(زَيْنَب)؛ هي رواية لمحمد حسين هيكل، وتعتبر أول رواية مصرية حديثة، نُشرت عام ١٩١٤. عنوانها الكامل باللغة العربية «زينب: مناظر وأخلاق ريفية». تُصوّر الرواية الحياة في الريف المصري، وتتناول العلاقات الزوجية والرومانسية التقليدية بين الرجل والمرأة، والتفاعلات بين عمال القطن وأصحاب المزارع. تعتبر الرواية حدثًا مهمًا في الأدب المصري؛ حيث كانت أول رواية تُبرِز البيئة المصرية المعاصرة بوصفٍ تام، وأول رواية حواراتها باللهجة العامية المصرية، التي استعيض بها عن الكتابة باللغة العربية الفصحى.

كان هيكل ابنًا لصاحب أراضٍ ريفية، وقضى وقتًا طويلًا في فرنسا؛ حيث كان يدرس الحقوق ليكون محاميًا، وفي هذه المرحلة من حياته كتب رواية «زينب» وذلك عام ١٩١١. في الطبعة الأولى، اختار الكاتب التعريف بنفسه باسمٍ مستعار وهو «فلاح مصري» بعد تردد كبير في طباعتها، وقد يكون سبب هذا التردد أن هذا النوع من الروايات لم يكن متعارفًا عند العرب والمسلمين بشكل عام والمصريين بشكل خاص؛ نظرًا لاستخدام اللهجة العامية بدلًا من الفصحى، وما تحمله من أفكار تحررية خارقة للعادات والتقاليد المحافظة آنذاك.

تأثر هيكل بالفكر الرومانسي، خاصة فكر الفيلسوف جان جاك روسو، وتجلى هذا في روايته (زينب) التي تدور أحداثها داخل ثنائية (المجتمع والطبيعة)؛ حيث تتجلى هذه الثنائية بوضوح في شخصيات الرواية، فبعض الشخصيات فيها تجسّد الطبيعة؛ لأنّ تصرفاتها تنسجم مع محيطها الطبيعي (الحرية الشخصية والتحرر من التقاليد والتمرد عليها)، وبعضها الآخر عبارة عن أشخاص ينتمون إلى نماذج مجتمعية، تعيش في إطار تقاليد وأعراف فُرضت عليهم من المحيط الاجتماعي ومنها (زينب) بطلة القصة؛ لذلك فهي خارج دائرة الفعل باستمرار، تتلقى الأوامر والإرشادات الأخلاقية من محيطها

الاجتماعي دون نقد أو مراجعة أو اعتراض، والصراع في الرواية قائم على أساس هذه الثنائية.

وقد اكتسبت هذه الروايـة أهميتها الكبيرة من أنها نقطة انطلاق لعصر الرواية المصرية الحديثة، ومليئة باللهجة العامة والشخصيات المحلية والبعد السياسي الاجتماعي[1].

١. لمعلومات أكثر راجع: مقدمة الطبعة الثالثة لهذا الكتاب (زينب؛ مناظر وأخلاق ريفية) للكاتب الدكتور محمد حسين هيكل، ص٩ - ١٢.

فهرس المصادر

ألف. الكتب والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. **نهج البلاغة**، جمع وشرح الشريف الرضي، طهران - إيران: مؤسسة نهج البلاغة، ١٣٧٢ هـ ش.

٣. ابن شهر آشوب، محمد بن علي المازندراني، **مناقب آل أبي طالب (ابن شهر آشوب)**، قم - إيران: العلامة، ١٣٧٩ هـ ق.

٤. أبو شبهة، محمد بن محمد، **السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة**، دمشق - سوريا: دار القلم، الطبعة الثامنة، ١٤٢٧ هـ ق.

٥. الأحسائي، محمد بن أبي جمهور، **عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية**، قم - إيران: مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ ق.

٦. افشار، ايرج، **اوراق تازه ياب مشروطيت ونقش تقى زاده**، طهران -

إيران: مؤسسة الطباعة والنشر جاويدان، الطبعة الأولى، ١٣٥٩ هـ ش.

٧. أمين، قاسم، **المرأة الجديدة**، القاهرة - مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٠ م.

٨. الأميني، عبد الحسين، **الغدير في الكتاب والسنة والأدب**، قم - إيران: [بد نا]، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ ق.

٩. أنصاري، إسماعيل، **الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء** عليها السلام، قم - إيران: منشورات دليل ما، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ ق.

١٠. بعلبكي، منير، **حياة محمد ورسالته**، بيروت - لبنان: دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، ١٣٩٠ هـ ق.

١١. بهار، محمد تقي (ملك الشعراء)، **تاريخ مختصر احزاب سياسى در ايران**، طهران - إيران: مطبعة خاشع، الطبعة الأولى، ١٣٨٧ هـ ش.

١٢. الحر العاملي، محمد بن حسن، **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة**، قم - إيران: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٦ هـ ق.

١٣. حسين، طه، **مستقبل الثقافة في مصر**، القاهرة - مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢ م.

١٤. حسين، محمد محمد، **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، بيروت - لبنان: مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، ١٩٨٧ م.

١٥. حسين، محمد محمد، **الإسلام والحضارة الغربية**، القاهرة - مصر: دار الفرقان، [بد تا].

١٦. حسين، محمد محمد، **حُصُوننا مهدَّدة من داخلها**، بيروت - لبنان:

مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، ١٩٨٣ م.

١٧. رائين، اسماعيل، **فراموشخانه وفراماسونرى در ايران**، طهران - إيران: مؤسسة الطباعة والنشر أمير كبير، الطبعة الثالثة، ١٣٥٧ هـ ش.

١٨. الزركلي الدمشقي، خير الدين بن محمود، **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين**، بيروت - لبنان: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠ م.

١٩. زعيتري، أحمد، **اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦ م**، الجلفة - الجزائر: جامعة زيان عاشور - كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، ٢٠٢١ م.

٢٠. ستودارد، لوثروب، **حاضر العالم الإسلامي**، ترجمة: عجاج نويهض، تعليق: شكيب أرسلان، بيروت - لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، ١٩٧٣ م.

٢١. شابندر، غالب حسن، **ليس من سيرة الرسول الكريم**، بيروت - لبنان: دار العلوم، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ ق.

٢٢. الشريف، ريجينا، **الصهيونية غير اليهودية - جذورها في التاريخ الغربي**، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ١٩٨٥ م.

٢٣. الصدوق، محمد بن بابويه القمي، **الخصال**، قم - إيران: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، ١٤٠٣ هـ ق.

٢٤. الصدوق، محمد بن بابويه القمي، **من لا يحضره الفقيه**، قم - إيران: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، ١٣٦٣ هـ ش.

٢٥. الصفار، محمد بن حسن، **بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم**، قم - إيران: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ ق.

٢٦. الطبرسي، الفضل بن الحسن، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، طهران - إيران: ناصر خسرو، الطبعة الثالثة، ١٣٧٢ هـ ش.

٢٧. الطوسي، محمد بن حسن، **تهذيب الأحكام**، طهران - إيران: دار الكتاب العربي، ١٣٦٥ هـ ش.

٢٨. العاملي، جعفر مرتضى، **الصحيح من سيرة النبي الأعظم**، بيروت - لبنان: دار الهادي - دار السيرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٥ هـ ق.

٢٩. العقّاد، عباس محمود، **الصهيونية العالمية**، القاهرة - مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

٣٠. الغروي، محمد هادي يوسفي، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، قم - إيران: مجمع الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ ق.

٣١. الغزالي، محمد، **حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي**، القاهرة - مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥ م.

٣٢. القانون (١٠٣) الصادر عن مجلس الشعب المصري لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها.

٣٣. قطب، محمد، **معركة التقاليد**، القاهرة - مصر: دار الشروق، الطبعة السادسة عشرة، ١٩٩٢ م.

٣٤. الكيالي، عبد الوهاب، **موسوعة السياسة**، بيروت - لبنان: دار الهدى للطباعة والنشر، [بد تا].

٣٥. مجمع اللغة العربية في القاهرة، **مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع**، القاهرة - مصر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى، ١٩٧٩ م.

٣٦. مدني، جلال الدين، **تاريخ سياسي معاصر ايران**، قم - إيران: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، الطبعة الخامسة عشرة، ١٣٧٨ هـ ش.

٣٧. المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، بيروت - لبنان: دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.

٣٨. مصطفى، أحمد عبد الرحيم، **حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث**، القاهرة - مصر: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧١ م.

٣٩. الندوي، أبو الحسن علي الحسني، **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية**، الكويت: دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ ق.

٤٠. هاملتون، جب، **وجهة الإسلام؛ نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي**، ترجمة: محمد هادي أبو ريدة، القاهرة - مصر: المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨ م.

٤١. هيكل، محمد حسين، **زينب؛ مناظر وأخلاق ريفية**، القاهرة - مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١١ م.

٤٢. وُدّي، أحمد، **تاريخ نيم قرن جنايت**، طهران - إيران، الطبعة الأولى، ١٣٥٨ هـ ش.

ب. المجلات والمواقع الإلكترونية

٤٣. خطاب، فتحي، **«سايكس - بيكو».. قصة «تقسيم الكعكة» وترسيم حدود الوطن العربي**، قناة الغد، ١٦ مايو ٢٠٢٣ م.

٤٤. دين، قادة، **دوافع صدور وعد بلفور**، مجلة العِبَر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال أفريقيا، المجلد الأول، العدد: ١، ٢٠١٨ م.

٤٥. روتشيلد جاكوب، **شهادة حية**، تقرير مصور عن وعد بلفور ووثائقه وأحداثه على الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=tk8g9GlliuQ

٤٦. السماك، محمد، **وعد بلفور القصة الكاملة**، موقع أساس ميديا، ٣ تشرين الثاني ٢٠٢٣ م.

٤٧. موسوعة عارف، **اتفاقية سايكس بيكو**، ١٤ سبتمبر ٢٠١١ م.

٤٨. النعماني، بسام عبد القادر، **الوطن العربي بعد ١٠٠ عام على اتفاقية سايكس-بيكو: قراءة في الخرائط**، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٤ سبتمبر ٢٠٢٠ م.

٤٩. هياجنة، رائد أحمد، **اتفاقية فيصل - وايزمن ١٩١٩؛ ظروفها وعوامل توقيعها (دراسة تاريخية تحليلية)**، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد: ٨، العدد: ج٢، ص١٠٨٧ - ١١١٩.

٥٠. وثيقة معاهدة (فيصل - وايزمان)، منشورة على الرابط: http://www.eretzyisroel.org/-samuel/feisal1.html

إصدارات مؤسسة حفظ ونشر تراث الشيخ الآصفي

سلسلة المقاومة في فكر العلامة الآصفي:

١. فصول المقاومة
٢. الوعد الصادق، دلالات ودروس انتصار حزب الله على إسرائيل
٣. مقاومة الاحتلال الإسرائيلي
٤. النصر الإلهي ومنهج التعامل مع الأعداء
٥. التحديات المعاصرة ومشروع المواجهة الإسلامية
٦. الجهاد بين الرحمة والعنف

سلسلة الغزو الثقافي للعالم الإسلامي:

١. قصة الغارة الحضارية على العالم الإسلامي **(هذا الكتاب)**

كتب متنوعة:

١. شرح دعاء الأسحار
٢. الثقافة القيادية والإدارية في القرآن والسنة

إن الجذور الحضارية تمنح الأمة مناعة ضد الغزو، أيَّ غزو؛ سواء أكان غزوًا عسكريًا أم فكريًا أم سياسيًا، أم غزوًا للابتزاز المالي أو للاستئصال الحضاري. وهذه خاصية العمق الحضاري في الأمة، فما دامت الأمة مرتبطة بماضيها وحضارتها ومستشعرة بشخصيتها التاريخية والحضارية، فهي تقاوم الغزو والاحتلال والاستغلال، وتقاوم النفوذ السياسي والفكري الأجنبي مهما كان.

مؤسسة حفظ ونشر
تراث الشيخ الآصفي رحمه الله